١٩٥٩/٤/٣

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى وفود الطلبة العرب من القصر الجمهورى بالقاهرة

■ إنها فرصة سعيدة أن نجتمع بالطلبة العرب، لأول مرة فى وطن عربى واحد؛ فأنتم عليكم رسالة كبيرة للوطن العربى، الذى لازال أمامه طريق طويل؛ حتى يصل إلى المستوى الذى ننشده جميعاً.

وبطبيعة الحال، نحن لا ننسى المستوى الذى يعيش فيه إخواننا العرب؛ سواء فى ليبيا أو فى الأردن أو الجمهورية العربية المتحدة أو العراق، فلازالت أمامنا فرص كثيرة، وعلينا أن نخوض هذه الفرص، ونسير مع الزمن؛ حتى نحقق مستوى المعيشة الذى نريده.. ففى أمريكا نجد أن متوسط مستوى المعيشة يبلغ ٧٠٠ جنيه، وفى مصر ٤٠ جنيهاً، وفى آسيا ٢٢، وفى إفريقيا وصل إلى ٢٢، وفى أوروبا ما بين ٢٥٠ و٣٥٠ جنيهاً، وفى إنجلترا ٤٠٠ جنيه؛ فنحن مازلنا فى البداية، وأمامنا طريق طويل لابد أن نسير فيه. وأنتم قد حصلتم على فرص للتعليم أهلتكم لأن تعيشوا فى مستوى أحسن مما يعيش فيه غيركم من المواطنين والفلاحين الذين يعيشون فى القرى. وأنتم عليكم رسالة كبرى؛ رسالة العلم والجهاد التى تحمى استقلالنا وتحصنه، وعلينا أن نبنى وطننا، حتى يقف الوطن العربى مع بقية دول العالم، على أساس المساواة.

وأنتم – يا شباب العرب – عليكم واجبان أساسيان: واجب تعريف العالم ببلادكم، وتلقى العلم؛ حتى تساهموا فى بناء بلادنا، وحتى نقدم الفرص لهؤلاء

الذين فقدوها فى الماضى؛ حتى نحقق رفع مستوى المعيشة ونسير مع الدول الأخرى.

وهذا واجب أساسى عليكم أن تراعوه دائماً، وأرجو أن تبلغوا هذه الرسالة إلى زملائكم فى الخارج ليجدوا ويجتهدوا. وإن الوطن العربى قد وضع فيهم الأمل الكبير، وأنا شخصياً أعلق عليهم الآمال الكبار؛ لأنهم حينما يعودون، سيكونون فى الطليعة التى تبنى الوطن العربى.

إننا لا يمكننا أن نحكم على بلد بمستوى معيشة أقليتها؛ فنحن فى مصر لانحكم على مصر بمستوى المعيشة فى القاهرة، ولكن نحكم عليها بالريف، وأيضاً فى سوريا لا يمكننا أن نقيس مستوى المعيشة فيه بدمشق أو حلب. فأمامنا عمل كثير؛ فإذا كان قد فاتنا عهد النهضة، فعلينا أن نلحق به، ونسير أيضاً فى عهد الذرة؛ حتى يأخذ الوطن العربى مكانه اللائق فى العالم.

أرجو أن تبلغوا هذه الرسالة للطلبة إخوانكم، وأن يعملوا على تحقيق هذه الرسالة فى العالم العربى، وتبلغوهم تحياتى وأحسن تمنياتى.

(وبعد أن ألقى غسان شرارة - رئيس اتحاد الطلاب العرب - كلمته باسم الطلاب، هتف الجميع قائلين: من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر، لبيك عبدالناصر.. عاد الرئيس فتحدث إلى الطلاب عن الوحدة العربية فقال:)

إننى أعتبر الوحدة العربية حقيقة واقعة؛ فأنتم هنا تمثلون الوحدة؛ فالسورى والعراقى والمصرى واللبنانى منكم لا يمكن التفرقة بينهم، فالوحدة مشاعر قبل أن تكون دستوراً، ومادمنا مستقلين أحراراً فالوحدة قائمة، وهذه الوحدة لاتنفصل إلا إذا استعمر أى بلد عربى؛ لأن هذا الانفصال يعبر عن رأى المستعمر.

١٧ / ٤ / ١٩٥٩

حديث الرئيس جمال عبد الناصر

مع الصحفى الهندى "كارانجيا" صاحب صحيفة "بليتز" الهندية

سؤال: أقترح - بعد إذن السيد الرئيس - أن يكون هذا الحديث جدلاً، بخلاف الحديثين اللذين سبق أن جريا بيننا. لقد جئت إليكم فى مناسبتين سابقتين؛ لأهنئكم على انتصاركم فى معركة السويس، وعلى تحرير العراق. أما اليوم، فإنى أحضر وأنا فى حيرة واضطراب، يبدو لى أنه لابد من وجود خطأ بالقومية العربية؛ جعلها تقاسى هذا الذى تقاسيه من الأزمة الناشبة بين جمهوريتكم والعراق: إنى أود أن أعرف من سيادتكم ماذا ينقص القومية العربية كمذهب، وما فحواها؟

الرئيس: ليس بالقومية العربية أى خطأ، إلا أنها معرضة فى الوقت الحاضر لهجوم من الحركات الشيوعية الهدامة.. إننا نقاتل معركة دفاعية ضد الشيوعية ومطامعها الدولية، تماماً كما سبق أن قاتلنا ضد الاستعمار الغربى. إن القومية العربية كمذهب؛ تقضى بالاستقلال التام عن أى نفوذ أجنبى، ومضمونها السياسى هو الوقوف موقف الحياد الإيجابى بين المعسكرين الشرقى والغربى، وأى ميثاق أو مذهب أو حلف يحاول قلب هذا المعنى - فيما يتعلق ببلادنا - يصبح عدواً طبيعياً لنا، يتحتم علينا أن ندفع عن أنفسنا خطره.

وعلى هذا الأساس، حاربنا حلف بغداد ومذهب "أيزنهاور" الذى جاء فى أعقابه، كذلك اضطررنا اليوم إلى الدفاع عن استقلالنا ضد التسلل

الشيوعى، ضد القلب والغزو. وإننا فى الحقيقة ندافع فى كل كفاحنا عن المبادئ الأساسية للقومية العربية، ندافع عن هذه المبادئ ضد كل المشروعات الأجنبية والمؤامرات التى تدبر ضد منطقتنا.

ومن هذا يتبين أن العمل الذى نقوم به ضد الشيوعية ليس إلا استمراراً للكفاح العربى فى سبيل الاستقلال، وليس معنى هذا أن بمذهب القومية العربية عيباً أو نقصاً كما تظن؛ إذ الحقيقة هى أن قوة قوميتنا وإيماننا بها وثقتنا فيها هى التى تمكننا من محاربة هذا العدوان الجديد.

سؤال: ولكنك يا سيدى الرئيس لم تقل شيئاً عن النزاع مع العراق؟

الرئيس: لأنه ليس بيننا وبين العراق أى نزاع بالمعنى الذى تتصوره؛ إذ أن نزاعنا فى الواقع مع المؤامرة الشيوعية المدبرة ضد العراق، وضد العالم العربى كله.

سؤال: ومع ذلك فإن خصومكم يستغلون الخلافات الناشبة بين القاهرة وبغداد، ويصفونها بأنها تدخل سافر ضد دولة عربية شقيقة. لهذا أود أن أعرف تحليلكم لأسباب هذه الأزمة ومصادرها.

الرئيس: لقد ألفنا هذا النوع من سوء الفهم وتعودنا، ولقد تحملنا فى بادئ الأمر مثل هذه الاتهامات على أوسع نطاق يمكن تصوره عندما رفضت فى سنة ١٩٥٥ الموافقة على حلف بغداد الغربى، وهاهى ذى الاتهامات توجه إلينا من جديد اليوم؛ لأن القومية العربية ترفض السماح بقيام حلف بغداد شيوعى.

إننا لا نقوم بأى تدخل ضد العراق؛ إذ أننا لا نريد التدخل فى شئون العراق الداخلية، ولكن إذا تجمع داخل العراق خطر يتحفز ويجمع قواه لينقض على باقى البلاد العربية، فإن الأمر يختلف، وعلى أساس هذا المعنى نكافح مؤامرة الأقلية الشيوعية فى العراق، تلك الأقلية التى تعمل

كأداة فى يد روسيا والشيوعية الدولية، تماماً كما كانت تنفذ حكومة ما قبل الثورة العراقية أوامر الاستعماريين الإنجليز والأمريكان.

وفضلاً عن هذا فإننا - لا أنا ولا شعبى - لم نكن البادئين بشن الهجوم على العراق؛ إذ الحقيقة أننا وُضِعنا فى موقف دفاعى، بعد أن شن الشيوعيون علينا من بغداد سلسلة من الهجمات، وقاموا ضدنا بسلسلة من الأعمال الاستفزازية، وإن من يستعرض تطورات الموقف منذ ثورة ١٤ يوليو استعراضاً محايداً، سيتأكد من صحة ما نقول.

لقد فعلنا كل ما فى وسعنا لتأييد ثورة بغداد تأييداً خالياً من أى قيد أو شرط، ولقد اعترف قاسم نفسه بذلك، وأعلنا أن أى هجوم على النظام الجديد فى العراق سيعد هجوماً علينا، وقلنا إننا على استعداد للحرب إذا صمم الاستعمار على مواجهة ثورة شعب العراق بالحرب، ولقد قمت شخصياً بالتمهيد مع الهند والدول الأخرى الصديقة للاعتراف بحكومة العراق الجديدة اعترافاً دبلوماسياً، كما ساعدنا ثوار بغداد بكل طريقة؛ لتعزيز مركزهم ودعم نظامهم.

وفى ذلك الوقت، جاء إلى القاهرة عدد من أقطاب الثورة العراقية؛ كالسيد كامل الجادرجى؛ للبحث فى مسائل تتعلق بنوع الاتحاد معنا والأساس الذى يقوم عليه ذلك الاتحاد، فطلبت منهم ألا يتعجلوا، وأن يكرسوا جهدهم لدعم ثورتهم. والحقيقة هى أنى طلبت من الجادرجى أن يمحو من ذهنه فكرة أى حلف غير الأخوة العربية المشتركة، وحسن النية الناجم عنها، وقلت له إن الأهم هو جعل بلاده متحدة، وإنقاذها من حدوث انقسام بين زعمائها يستغله الشيوعيون والخصوم الآخرون استغلالاً، يؤدى إلى حدوث كارثة بالقضية العربية.

إن هذا يوضح لك الحقيقة، وهى أننا لم نطلب من العراق أكثر من أن يبقى مستقلاً، ولم نرغب فى أكثر من رابطة الأخوة العربية المشتركة، ولم نكن نهدف إلى إنشاء اتحاد دستورى بين الجمهورية العربية المتحدة

والعراق؛ اكتفاءً بعاطفة التضامن العربى القوية، ومازال هذا هو موقفنا إلى اليوم.

وقضية العقيد عارف تثبت حسن نيتنا، فقد قاد عارف رأى الأغلبية فى العراق، وهو رأى أنصار الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة، ومع ذلك فإننا بعد أن اقصى قاسم عارف، ثم حكم عليه بالإعدام لم نتدخل، والواقع إنى حتى بعد أن بدأ الهجوم يوجه إلينا غمزاً فى بداية الأمر، ثم صراحة وعنفاً بعد ذلك؛ طلبت أن تلتزم الصحف والإذاعة عدم توجيه أى نقد إلى العراق، وعدم الرد على ما يوجه إلينا من حملات وهجمات.

وتمشياً مع هذه السياسة سعيت عدة مرات للالتقاء بقاسم، إلا أنه تجنب مقابلتى معتذراً باعتذارات واهية، ولما قال إنه لا يستطيع المجىء إلى القاهرة أو دمشق، عرضت عليه أن أذهب أنا لمقابلته فى بغداد أو فى أى مكان يختاره، لكنه رفض، فلماذا رفض؟ من الواضح أنه رفض؛ لأن الشيوعيين - وهو أسيرهم - لا يريدون أى تقارب بين العراق وبين الجمهورية العربية. ولقد بعثت إليه تأكيدات بأننا لا نريد أن نفرض على بغداد أى وحدة أو اتحاد معنا، وأن كل ما نبغى هو تصفية سوء التفاهم واستعادة العلاقات الأخوية العربية، غير أنه لم يرد بشىء.

بعدئذ علمنا بالطبع لماذا يتجنب قاسم هذا اللقاء، فقد تبين لنا أن الشيوعيين سيطروا عليه وراحوا يغتالون ثورة العراق ذاتها، ويتخلصون من القادة الذين قاموا بها، وسرعان ما أودع معظم القوميين فى السجون. وقامت حركة مضادة لثورة ١٤ يوليو، قوامها العنف والإرهاب ضد القوميين، ولم يضيع الشيوعيون الوقت؛ فشنوا حرباً باردة على الجمهورية العربية المتحدة وعلى القومية العربية، وأبعدوا دبلوماسيينا، وقسوا فى معاملة مدرسينا وخبرائنا وحطموا أعصابهم، كما شنوا هجمات عنيفة على القومية العربية؛ بقصد استئصال كل أثر لها حتى فى ضمائر العراقيين.

هذه هى الحكاية باختصار، والمشكلة هى أن الثورة الوطنية اختنقت فى العراق، وأن الشيوعيين يعيثون فساداً فى ذلك البلد العربى. ولقد استقال سفير العراق فى القاهرة من منصبه استياءً من الطريقة التى تسير بها الأمور فى بلاده، مع أنه من أبرز الوطنيين، وقد أوضح للعالم أن قاسم أخفق فى جعل الثورة تعطى للعراق نظام الدولة، وترك الإرهاب الشيوعى يتولى حكم البلاد.

فإزاء هذه الفوضى السائدة فى داخل العالم العربى، لم يكن فى وسعنا أن نفعل غير الدفاع عن أنفسنا. والمشكلة هى أن الصراع ليس قائماً بين العراق وبيننا؛ وإنما بين الشيوعيين والقوميين العرب.

سؤال: ولكن هل ترون يا سيادة الرئيس أنكم رددتم بشىء من العنف على ذلك الخطر كما يبدو لكم؟ إن قاسم والشيوعيين عرب على أى حال، فهل لم يكن فى وسعكم أن تتريثوا، على أمل إعادتهم إلى رشدهم وصوابهم؟

الرئيس: إن الشيوعيين العرب فقدوا عروبتهم، بعد أن باعوا أنفسهم للنفوذ الأجنبى.. إنهم يتصرفون كآلات فى أيدى روسيا، وكعملاء لها فى العراق وسوريا وفى كل أنحاء العالم العربى؛ لهذا لا يمكن أن نعاملهم على أنهم عرب، إن تصرفاتهم فى العراق وفى سوريا لا تدع مجالاً للصبر معهم، ولقد حاولت جهدى أن يقتنعوا ولكنهم أصروا على أن يطعنوا أوطانهم. ولقد وجدت لزاماً على أن أنبه مواطنى إلى هذا الخطر الجديد، وأن أجندهم ضده، ثم إننا نحن معشر القوميين العرب، ليس لنا حلفاء لا فى العالم الشيوعى ولا فى العالم الاستعمارى، كما أنه ليست لنا أسلحة الشيوعيين ولا أسلحة الاستعماريين؛ ولهذا قصدت إلى شعبى، إن شعبى هو جيشى وهو قوتى، بل هو درع الأمان بالنسبة لى.. هذا هو ردى على سؤالك.

سؤال: شكراً يا سيدى الرئيس، إذ لا يمكننى المجادلة فى هذا التفسير، ولكنى أود لو زدتم هذه النقطة إيضاحاً.. إنى أدرك من كلامكم أنه إذا كان

الخطر مقصوراً على العراق وحده، لما رضيتم أن تتدخلوا، ولكن مادمتم تعدون الحالة السائدة فى العراق مشكلة تهم كل العرب، فهل لى أن أستخلص أن هذا الخطر ليس مقصوراً على العراق، بل يتناول- حسب رأيكم - كل العالم العربى؟

الرئيس: ما دمت توجه إلىّ هذا السؤال بهذه الصراحة، فإنى أقول لك إن المعلومات المحققة، التى وصلت إلينا كشفت خطة أساسية شيوعية الغرض منها الاستيلاء على العراق، وإنشاء دولة سوفيتية فى تلك المنطقة العربية الاستراتيجية، على أن يعقب ذلك إحداث انقسام بين سوريا ومصر وتحطيم وحدتنا، ثم يكون الهدف الشيوعى النهائى هو إنشاء هلال خصيب أحمر من العراق، وسوريا، والأردن، ولبنان والكويت، يمكن النفوذ الشيوعى، لا من الوصول فقط إلى الخليج الفارسى وخليج العقبة، بل وإلى المحيط الهندى كذلك.

سؤال: إن هذه يا سيدى معلومات جديدة مثيرة ومذهلة! هل لكم أن تذكروا لى كل تفاصيل هذه الخطة الأساسية كما تسمونها؟

الرئيس: إن القصة تبدأ بسوريا قبل اندماجها مع مصر، أى قبل قيام ثورة بغداد بزمن طويل، وأذكر أنى أخبرتك فى آخر مرة قابلتنى فيها فى سبتمبر الماضى، عن مؤامرة الشيوعيين السوريين، وخاصة بكداش والبزرى، وقلت لك إن تلك المؤامرة كانت تقضى بإحداث انقلاب يجعل سوريا تتحول إلى دولة شيوعية.

سؤال: أذكر يا سيدى أنك حدثتنى عن تلك المؤامرة، ولكنك طلبت إلى ألا أنشر ذلك الجزء من حديثنا.

الرئيس: هذا صحيح، لقد كانت هذه أول تجربة لى مع الاستراتيجية الشيوعية السوفيتية، ولم أشأ استغلالها أو الاستفادة منها، أما الآن فإنى أترك لك الحرية فى أن تنشر القصة على العالم، ولقد جاء إلينا الوطنيون السوريون

بقصد تصفية هذه المؤامرة، هذه حقيقة. وكانت النتيجة أن تم بسرعة اتحاد سوريا مع مصر، وبعدئذ جرى الاستفتاء، الذى أسفر عن أن ٩٩ فى المائة من أبناء الشعب السورى يؤيدون اندماج البلدين ووحدتهم، وكانت هذه النتيجة حُكماً على الشيوعيين السوريين بالعزل.

بعدئذ فر خالد بكداش من سوريا وقصد إلى موسكو وبراغ، وأما عفيف البزرى فبقى معنا منتظراً الظروف المواتية له. ولما قامت ثورة بغداد وانحرفت بها حكومة عبد الكريم قاسم على النحو الذى انحرفت به؛ أتيحت الفرصة أمام المتآمرين ليحاولوا من جديد، فتجمعوا فى العراق الذى اتخذوه معقلاً جديداً، ثم استغلوا وجود انقسامات على الزعامة بين العسكريين والسياسيين، فعملوا على إشاعة الفرقة والفوضى؛ بقصد تصفية القوميين العرب والتخلص منهم، وإدماج العناصر الأخرى فى جبهة سياسية خاضعة لسيطرتهم.

وبعد أن اطمأنوا إلى أنهم أصبحوا يقبضون على مقاليد الأمور فى العراق بيد من حديد، شرعوا ينظمون حركة سرية شيوعية عربية؛ بقصد القيام بأعمال هدامة مخربة ضد البلاد العربية المجاورة. وتفيد تقاريرنا أن أسس هذه الجبهة وضعت فى موسكو، أثناء انعقاد المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى، وأن الذين وضعوها هم الشيوعيون العرب. وقد عقد الشيوعيون العرب مؤتمراً لهم فى بغداد فى فبراير الماضى، وقد اشترك فى ذلك المؤتمر شيوعيون إسرائيليون، وفى ذلك المؤتمر وضعت الخطة الرئيسية للشيوعيين العرب، خطة غرضها تحطيم الجمهورية العربية المتحدة، وإنشاء الهلال الخصيب الأحمر بكيفية، تجعل لبغداد مركز القيادة للثورة الشيوعية المضادة للقومية العربية.

سؤال: إلى أى مدى نجحت هذه الخطة؟ أعنى هل لدى سيادتكم ما يدل على تنفيذها، فضلاً عن الأسس التى تقوم عليها ؟

الرئيس: لقد اضطررت شخصياً فى ديسمبر الماضى فقط إلى اتخاذ التدابير اللازمة، لإحباط أول هجوم شيوعى على الجمهورية العربية المتحدة فى الإقليم السورى. كان الشيوعيون قد دبروا لإحداث انقلاب آخر فى سوريا، وكان بكداش قد عاد لهذا الغرض إلى الشرق الأوسط، حيث راح يعمل مع البزرى والشيوعيين فى حركتهم السرية.

كانوا يريدون أن تنفصل سوريا من اتحادها مع مصر، وأن تنضم إلى العراق فى اتحاد يسيطر عليه الشيوعيون، ولقد سلطت الثورة على محاولتهم علناً، وكشفت مؤامرتهم أمام الشعب العربى. إلا أن الشيوعيين فروا بعد ذلك إلى بغداد، وقد أصبحت الآن مقر قيادة الشيوعية، ففيها نجد الآن شيوعيين من كل البلاد العربية؛ من سوريا، والأردن، ولبنان، وغيرهم، وكلهم يتآمرون من هناك ضدنا.

سؤال: ما أهم خلاف بينهم وبينكم يا سيدى الرئيس، علاوة على أنكم لاتعترفون بهم كقوميين عرب؟

الرئيس: لقد طبعوا القومية العربية بطابع يختلف عن طابعها الأصلى، وهو التمسك بعدم الانحياز، وأسلوبهم هو أن يدفعوا شعارات الديمقراطية المزيفة، ويطالبوا بقيام أحزاب سياسية يمكنهم أن يستخدموها ضد بعضها البعض إلى أن يصفوها جميعاً باستثناء الحزب الشيوعى، أسوة بما فعله الشيوعيون فى أوروبا الشرقية. وأكثر من هذا وصل الشيوعيون فى منطقهم إلى حد أنهم الآن يكررون الاتهام الاستعمارى القائل: إن مصر ليست بلداً عربياً! وإنهم بناءً على ذلك عزلوها عن العالم العربى.

سؤال: مع الموافقة على ما قلتم سيادتكم، فإن هجومكم أو دفاعكم إزاء تطورات العراق قد أثار فى بعض الدوائر غير الصديقة أسئلة مؤداها: بأى حق يتحتم عليكم التدخل فى شئون العالم العربى، خارج نطاق الجمهورية المتحدة؟

الرئيس: حسناً، هل فى وسع أحد اليوم أن يغمض عينيه عن كل ما يجرى فى العالم، ناهيك عما يجرى فى البلاد المجاورة لهم؟! عندما مدت أمريكا نطاق الحرب الباردة إلى جواركم بعقدها حلف مع الباكستان، وبتقديمها مساعدات عسكرية إليها، كان لهذا رد فعل شديد، وهكذا الحال بالنسبة لنا.

فالموقف اليوم هو أن ما يحدث فى برلين يؤثر فينا، وبالأحرى يؤثر فينا أكثر ما يحدث فى المناطق المجاورة لنا مباشرة.. إن المسألة هى أن الدول الكبرى تستخدم الدول الصغرى والأقل نهوضاً كأدوات تلعب بها فى الحرب الباردة، ولما كانت منطقتنا منطقة استراتيجية على لوحة الشطرنج التى تلعب عليها الدول الكبرى.. فإن الواجب يقضى بأن نكون فى منتهى الحذر، إن هذا درس تعلمناه من تاريخنا. وبغض النظر عن كل هذه الاعتبارات والأسباب، فإن لنا مذهباً خاصاً، هو القومية العربية، القائمة على أساس التضامن العربى، وعلى فكرة أننا أمة عربية واحدة، يضاف إلى هذا أن دستورنا ودستور العراق المؤقت ينصان على تمسك بلدينا بهذه الفكرة، فكرة أننا أمة عربية واحدة.

وهكذا يحق لكل دولة عربية أن تحمى استقلال العراق وعروبته.. استقلاله عن إنجلترا وأمريكا وروسيا أو أية دولة أخرى من الدول الكبرى؛ ولهذا السبب حاربنا حلف بغداد الغربى، وهذا السبب نفسه هو الذى يدعونا لتصفية التسلل الشيوعى الجديد فى العراق. إننا كأسرة عربية واحدة تركب زورقاً فوق بحر هائج فى جو دولى عاصف للغاية، فإذا حاول أحدهم أن يحدث ثقباً تحت زورقنا، فهل تنتظر منا أن نجلس صامتين ونحن نرقب الكارثة؟ إن الواجب يقضى بأن نوقفه حرصاً على سلامتنا المشتركة.

سؤال: صدقت يا سيدى الرئيس وشكراً على هذا التفسير، لقد قال أحد الصحفيين لى صباح اليوم إنه فى الحقيقة يوجد اثنان من جمال

عبدالناصر: أحدهما يشغل منصب رئيس الجمهورية العربية المتحدة، والثانى يتولى القيادة العامة للقومية العربية، فهل هذا القول صحيح؟

الرئيس: حسناً، إن مصر كما ترى كانت خارج الكفاح العربى، وبعد الثورة اكتشفت مصر نفسها ومكانها؛ لذا كان يتعين عليها أن تعود إلى قلب الكفاح العربى، ثم دفعتنا ظروف موضوعية وقوى تاريخية إلى أن نصبح فى مركز رئيسى، فلم يعد فى وسعنا أن نفعل غير ما نفعل الآن.. لقد أصبحت القاهرة قاعدة كل الكفاح العربى وعاصمته من عمان إلى الجزائر، ففى القاهرة تعمل الجامعة العربية وغيرها من المنظمات العامة، ولما قامت الثورة فى بغداد اعترف قاسم نفسه بهذه الحقيقة، إذ تطلع إلينا لمساعدته، ليس ذلك فى إيماننا موضوعاً للمباهاة أو المفاخرة؛ وإنما كان ذلك واجبنا، والحقيقة أننا كنا على استعداد لخوض غمار الحرب من أجل ثورة بغداد، والواقع أيضاً أن استعدادنا هذا أنقذ ثوار بغداد من تدخل الغرب.

سؤال: أما وقد أوضحت لى يا سيدى الرئيس الأخطار التى تراها فى العراق بعد تحويله إلى دولة شيوعية، أرجو أن تتحدث عن الاستراتيجية الخاصة بالدفاع عن أنفسكم.. إن كثيرين سمعوا بخطر الشيوعية على الإسلام، وقرأوا الفتاوى الصادرة ضد الملحدين، وبصراحة ضايقت هذه الفتاوى الرأى العام فى الهند، ومن المحتمل أن يسىء هذا إلى اثنين من أقرب حلفائكم؛ هما: الهند ويوجوسلافيا، وقد يسىء هذا كذلك إلى القومية العربية، التى يتحتم عليها أن تراعى وجود أقليات كثيرة غير إسلامية.

الرئيس: إننى مسرور لأنك وجهت إلىّ هذا السؤال، إن هذا الاتهام ليس له أساس من الصحة، وهو جزء من حملة التشهير التى ينظمها الشيوعيون والإنجليز ضدنا. وأستطيع أن أؤكد لك تأكيداً جازماً أننا لم نستغل بتاتاً الإسلام لأغراض الدعاية.. إن كل ما قلت هو أن الشيوعيين أرادوا فى

سنة ١٩٤٩ أن أنضم إلى حزبهم، ولما كنت دائماً تواقاً إلى الاستزادة من العلم، وراغباً فى توسيع مداركى، فإننى جعلتهم يرسلون إلى ما لديهم من كتب عن مذهبهم، إلا إنى بعد أن اطلعت على تلك الكتب تبينت أن نظرتهم الإلحادية وغير الإسلامية غريبة علىّ، فرفضت الدعوة التى كانوا قد وجهوها إلىّ لكى أصبح شيوعياً، ولكن بيانى هذا حُوِّر؛ ليتمشى مع الدعاية حول الإسلام والإلحاد.

وأما فيما يتعلق بما جاء فى سؤالك عن الفتاوى وما إليها؛ فإنه ليست لى ولا لحكومتى علاقة بهذه المسألة.. عندما فوجئنا بالخطر الشيوعى، تصرف كل فرد حسب وجهة نظره، وفى رأيى يبدو لى الشيوعيون كعملاء، وقد أعلنت هذا الرأى بصراحة، وهذه هى نظرتى إليهم. وأما غيرى فقد نظر إليهم من الزاوية الإسلامية، وكذلك اشترك المسيحيون فى المعركة من وجهة النظر المسيحية وهاجموا الإلحاد الشيوعى.

لم ندع من ناحية الحكومة للقيام بمثل هذه الدعاية، كما أننا لا نستطيع أن نمنع الناس من أن ينظروا إلى المسألة من الناحية الدينية. ثم إن الشيوعيين فى هذا الزمن كما يقول "نهرو" نفسه: يقومون بما يشبه الحرب الدينية؛ فيسببون رد فعل قوى لدى الشعوب ذات المعتقدات الصحيحة. ولدينا أنباء من بغداد ومن أماكن أخرى بالعراق بأن القرآن قد مُزق وقُطع، وقد تركت هذه الأنباء أثراً سيئاً فى القاهرة ودمشق. وفيما يتعلق بى، فأنا رجل متدين أرفض الإلحاد، وتدينى ليس مقصوراً على أداء الصلاة وزيارة المساجد.. إن الدين سلوك فى الحياة، ومبادئ للأخلاق، وللعلاقات مع الناس.

سؤال: والآن فلنمض - يا سيدى الرئيس - إلى الجانب الآخر من حربكم مع الشيوعية، وهو جانب مهم جداً، وأعنى به حرب الكلام بينكم وبين "خروشوف" وروسيا.. هل كان هذا من الضرورى؟

الرئيس: أؤكد لك أننا أُكْرِهنا على الدخول فى هذا الجدل على غير رغبة منا، لقد كانت علاقاتنا ودية للغاية مع روسيا خلال السنوات الثلاث الماضية، وكانت موسكو قد أنشأت لنفسها فى طول العالم العربى وعرضه رصيداً كبيراً من حسن النية؛ بفضل تأييدها القومية العربية، وإدراكها للحياد العربى، أو هكذا على الأقل كان ظننا حتى ديسمبر الماضى، وهو الشهر الذى وجدت فيه أن من الضرورى أن أهاجم الحزب الشيوعى السورى.

سؤال: معذرة لمقاطعتكم يا سيدى الرئيس، لقد ذكرتم لى فى سبتمبر الماضى بعض الشكوك التى ساورتكم من ناحية موقف روسيا من اندماج سوريا مع مصر؟

الرئيس: هذا صحيح، ولقد نقلت شكوكى هذه إلى "خروشوف" عن طريق "محيى الدينوف"، وتلقيت منه تأكيدات بأن روسيا لا تتدخل فى شئوننا، فطمأننا هذا. إلا أن المتاعب بدأت فى الحقيقة تظهر مبكرة عندما هاجمت الشيوعية السورية، وهذا أمر من شئوننا الداخلية، ولقد صدمت عندما رد "خروشوف" بطريقة تدل على أنه يعد نفسه مسئولاً عن حماية الشيوعيين العرب، احتججنا لدى موسكو على مثل هذا التدخل فى شئوننا.

ثم جاء المؤتمر الشيوعى فى موسكو، وفيه أدلى "خروشوف" بملاحظات فيها مساس بكرامتنا، وفضلاً عن كل هذا فإن إيواء روسيا للشيوعيين العرب – مع علمها بنشاطهم ضد وطنهم – يعد فى نظرنا خرقاً كبيراً لأصول الدبلوماسية الدولية، فلنفترض أن فعلت هذا الشىء مع "بولجانين"، أو "شيبيلوف"، أو "زوكوف"، تُرى كيف كانت تشعر موسكو نحو مثل هذا التصرف؟!

ولقد أثرت هذه المسألة معهم، فكتبت إلى "خروشوف" بعد مؤتمر موسكو، حذرته من مغبة تأييد الحزب الشيوعى فى بلادنا، وذكرته بأن الموقف الودى الذى يقفه الشعب العربى نحو روسيا لم يحدث نتيجة لوجود حزب شيوعى لدينا، بل جاء هذا الموقف الودى رغم وجود الشيوعيين لدينا،

وقلت لهم إن شعبنا لا يحب هذا السلوك، ثم سألته: هل يرغب فى تأييد أقلية؟ وهل يعدنا معادين له لو أننا فعلنا مثل ذلك؟ وحذرته بأن الشيوعيين المحليين يضللونه، وختمت رسالتى إليه بالإعراب عن أسفى لتدهور علاقاتنا إلى مثل هذا الحد. ولقد رد "خروشوف" رداً مطمئناً فصدقناه، وأعلنت هذا على الملأ، ثم جاءت المتاعب مع العراق، وهاجمت الشيوعيين العراقيين، وهو أمر عربى وليس من شأن روسيا، إلا أن "خروشوف" لم يضيع الوقت؛ فردَّ علينا أثناء اجتماعه مع الوفد العراقى الاقتصادى فى موسكو، واتهمنى بأنى أستعمل لغة الاستعمار. إن هذا جعلنى أعتقد أن موسكو قد ظهرت حقاً كحامية للشيوعيين ضد القومية العربية، وهكذا لم أجد بداً من أن أقول للروس إننا لا نحب هذا الطراز الجديد من الاستعمار، وإننا لسنا على استعداد لأن نبيع بلادنا بأى ثمن، وكعادتى دائماً عرضت على شعبى قصة خلافاتنا بأكملها مع موسكو.

وكانت النتيجة أن ما اختزنته روسيا من حسن النية خلال الثلاث سنوات أضاعته فى أقل من ثلاث أسابيع، فعلى روسيا أن تشكر الشيوعيين المحليين على أن الأمور وصلت إلى هذا الحد!

سؤال: هل من رأيك أن موسكو هى التى قامت بالخطوة الأولى فى توجيه الهجوم الذى يشنه الشيوعيون العرب، أم أنها اكتفت بتأييدهم، بعد أن قاموا هم بالخطوة الأولى، ووجدت نفسها أمام الأمر الواقع؟

الرئيس: من رأيى أن بكداش وأمثاله من الشيوعيين ضللوا روسيا، ويبدو أنهم ضللوا "خروشوف" وجعلوه يعتقد أن الشيوعية العربية قوية جداً، وتتمتع بشعبية تكفى لجعل الشعوب العربية تؤيدها ضد حكوماتها.

سؤال: ولكن يا سيدى الرئيس، ألست مرتبطاً اقتصادياً وعسكرياً مع الدول الشيوعية، بحيث يتعذر قطع الصلات مع موسكو؟ إننى أشير إلى السد العالى، وإلى غيره من المشروعات، وإلى تجارتكم القطنية، كما أشير - بوجه خاص - إلى قطع الغيار والذخائر اللازمة لمعداتكم العسكرية.

الرئيس: يؤسفنى أننى لا أستطيع معالجة السؤال بهذه الكيفية، فالمسألة فى نظرى هى هل أنا مستعد للتخلى عن استقلال بلادى أم لا؟ هذا هو كل مايهمنى، وما عدا ذلك أقل أهمية، والسؤال هو هل يمكن أن نساوم على استقلالنا فى مقابل الحصول على مساعدة اقتصادية أو عسكرية؟

والجواب فى نظرى واضح، وهو النفى الأكيد.. إنك تتحدث عن المساعدة الاقتصادية وعن تجارة القطن، وردى هو ما فائدة المساعدة والتجارة إذا فقدنا استقلالنا؟ إننا لم نرهن اقتصادياً، لقد بعنا لهم قطننا ولم نبع لهم استقلالنا.. هناك أمور تتعلق بالكرامة والعزة وبالمبادئ، وهذه الأمور لايمكن شراؤها أو بيعها، وعلى الدول الكبرى من روسيا إلى أمريكا أن تدرك هذه الأمور، التى تمس كرامة الشعوب الآسيوية والإفريقية. وإذا كان السبيل الوحيد لإرضاء روسيا هو أن نعطى الحرية للحزب الشيوعى فى بلادنا لكى يهدموا؛ فإننا نرفض هذا الشرط، ومع ذلك لازلت آمل ألاتكون هذه هى سياستهم. وأما فيما يتعلق بإيجاد مصادر أخرى للتعاون الاقتصادى.. فمن الطبيعى أنه توجد مصادر أخرى لا فى شرقى أوروبا وحدها بل فى آسيا أيضاً. والأهم من هذا هو أننا ننشئ لأنفسنا موارد فى بلادنا؛ فنحن نحصل سنوياً من قناة السويس على ٤٤ مليون جنيه من العملات الصعبة، ونحن ننتج كل ما يلزمنا من السلع الاستهلاكية كما ترى، كذلك ننتج كل الذخائر اللازمة لنا، وقد بدأنا نصنع قطع الغيار كذلك، والمسألة بالنسبة لنا هى أننا لا نبيع استقلالنا بأى ثمن.

سؤال: هذا كلام جميل وشرح طيب يا سيدى الرئيس، ولكن كل هذا يضعكم فى مركز صعب جداً حقاً. لقد سمعت عن مخاوف أعربت عنها بعض الدوائر القومية العربية، ومؤداها أن الشقاق بين القاهرة وبغداد يضعف الوحدة العربية أمام عدوكم الأكبر؛ أى أمام إسرائيل، بينما يؤدى النزاع بين القاهرة وموسكو إلى تعريض الشرق الأوسط لعدوكم الآخر، وهو الاستعمار الغربى، فإذا فرضنا أن اتفق العدوان من جديد على شن

هجوم كالهجوم الذى وقع على بورسعيد فى خريف سنة ١٩٥٦، فهل حسبتم عواقب مثل هذا الهجوم؟

الرئيس: إن بغداد كانت دائماً بعيدة عن معركتنا مع إسرائيل، ولسنا نستطيع أن ننتظر من العملاء مساعدات أكثر مما ننتظر من نورى السعيد، فعلينا أن نعتمد على أنفسنا، وأن نترك الزمن وقوى القومية العربية ليعملا على إعادة العراق إلى حظيرة العرب.

ومهما يكن من أمر، فلسنا نحن الذين أردنا هذا النزاع مع بغداد أو موسكو، ولكن مادام النزاع قد قام كالفيضان، فماذا نستطيع؟ إن على من يريدون أن يكونوا مستقلين أن يستعدوا لدفع الثمن، ولقد عانينا خلال السنوات السبع الماضية من الضغط الغربى، وقد هزمنا من هاجموا بورسعيد كما تعلم.. هزمناهم بقواتنا نحن، وبإذن الله ستساعدنا قوتنا وسيساعدنا إيماننا فى مواجهة المعركة الحالية، ومع ذلك فإن فى الكفاح من أجل الاستقلال، ينبغى على الشعوب أن تتحمل مسئوليات كفاحها.

سؤال: هذا إحساس نبيل يا سيدى الرئيس، وإنى أشارككم هذا الشعور، ولكنى متأكد من أن القطيعة بينكم وبين روسيا لا يمكن أن تدوم.. إنى أفكر فى السفر إلى موسكو، والسعى إلى التحدث مع "خروشوف" فى شأن أزمة برلين، وبعد أن أوضحتم ظروفكم وظروف الأحداث فى الشرق الأوسط الآن - وهى أحداث لها تأثيرها دون شك على بلادى - أرى لزاماً علىَّ أن أتحدث إلى "خروشوف" وهدفى الآن هو أن أعرف ما أقل شروط لكم للصلح مع موسكو؟

الرئيس: إن ما نطلبه من موسكو ومن واشنطن ولندن، هو أن تفهم هذه العواصم القومية العربية، وأن تحترم كرامتها واستقلالها، وأن تؤيد موقفنا الحيادى، بدلاً من أن تحاول هدمه أو قلبه.

إن "خروشوف" يعلم أننا فى سبيل هذه المبادئ حاربنا الغرب مرة، وكنا على استعداد لمحاربته مرة ثانية في يوليو الماضى، ولقد أوضحت له بنفسى هذه المبادئ الأساسية للقومية العربية، أثناء الزيارتين اللتين قمت بهما لموسكو، وكتبت له رسائل طويلة، وإذا قابلته أطلب منه أن يقرؤها من جديد.

إن كل ما نطلب هو عدم التدخل فى شئوننا، ويعلم "خروشوف" مقدار الضرر الذى أحدثه حلف بغداد، لقد جعل الحرب الباردة تمتد إلى منطقتنا بجوها المسمم، لماذا يريد أن يكرر فى بغداد ذات الغلطة، التى ارتكبها الغرب؟!

سؤال: هل مجموعة الشيوعيين الذين لا ولاء لهم إزاء وطنهم، أهم فى نظره من محيط عظيم من الشعوب العربية ممتد من الخليج الفارسى إلى الأطلنطى؟

الرئيس: من المؤكد أن صداقتنا القديمة القائمة على احترام القومية العربية السليمة ستعود؛ إذا كف عن مثل هذا التدخل. ولقد كان "خروشوف" حتى عهد قريب يؤيدنا، وقد رددنا له العرفان بالجميل عشرة أضعاف عن كل لفتة منه لصالح العرب، أما الآن فيبدو أنه يؤيد عدونا، ونحن نرد كل ضربة توجه إلينا بعشر ضربات؛ هذه هى سياستنا، قد نسميها سياسة غير متسمة بالصبر ولا بالحكمة، ولكننا نعتز بكرامتنا، ونقدر لها ثمناً غالياً جداً. وفضلاً عن هذا، فإن الحركات الهدامة خطر من نوع جديد تماماً بالنسبة لنا.. لقد حاربنا الاستعمار طول حياتنا فعرفناه، ويمكننا أن ندافع عن أنفسنا ضده بوسائل صحيحة، ولكن هذا الخطر الجديد يضايقنا بالطبع، ويجب أن تكون نظرتنا إليه عملية لا تعسفية. إن المعركة لا تزال فى بدايتها، ونأمل بكل إخلاص ألا تفرض علينا ضرورة المضى فيها على مستوى دولى. ويجب على الشيوعيين والاستعماريين أن يفهموا أننا

سادة فى بلادنا، وأنه ليس لأى إنسان أن ينشر الدعوة الرهيبة فى بلادنا؛ أعنى أنه ليس من حق "أيزنهاور" ولا "خروشوف" أن يفعل هذا فى بلادنا.

سؤال: شكراً يا سيدى الرئيس.. بكل تأكيد سأنقل شعوركم إلى "خروشوف"، وسأخبره بما تجمع لدى شخصياً من معلومات عن العواطف العربية، وكل ما أريد أن أعرف الآن هو هل أثرت متاعبكم مع روسيا على تعاون روسيا معكم اقتصاديًا؟

الرئيس: لم تؤثر على الإطلاق؛ فالتعاون مستمر كما كان قبلاً.

سؤال: هذا يعنى أن للروس على الأقل مزية على الأمريكان؛ من حيث إنهم لايخلطون السياسة بالتجارة.

الرئيس: ليس لدينا ما يدعو إلى الشك حتى الآن، إن تعاونهم معنا فيما يتعلق بالسد العالى وغيره من المشروعات الصناعية الأخرى لم يتأثر بالخلاف السياسى.

سؤال: هذا حسن جداً يا سيدى الرئيس، فلنتحدث الآن عن دور الإنجليز فى الشئون العربية، لقد أشارت الصحف الغربية كثيراً إلى المساعدات التى تقدمها بريطانيا إلى العراق.

الرئيس: ثمة عاملان يتحكمان فى سياسة بريطانيا؛ فالإنجليز لا يزالون يعانون من دوار السويس الذى أصيبوا به، فهم كالذئاب الجريحة يريدون الانتقام منى؛ لأنى خلصت السويس منهم، ولهذا فإنهم سيستخدمون أية آلة تصادفهم للقضاء علىَّ، وهذا هو سبب مساعدتهم حكومة العراق، وشنهم حملة ضدى فى الصحف والإذاعة. إنهم يديرون حوالى ست محطات إذاعة سرية ضدنا مثل محطة مصر الحرة، وصوت الإصلاح، يضاف إلى هذا أن الإنجليز يريدون أن يستمر تدافع شركة بترولهم بالعراق، ولهذا فهم يؤثرون قاسم لصالح أموالهم المستثمرة فى العراق.. إنهم فى

الحقيقة فى موقف يتسم بالتناقض، فهم ضد الشيوعيين، وفى الوقت ذاته يناصرون التغلغل الشيوعى فى حكومة العراق!

سؤال: والآن ما رأى سيادة الرئيس فى السياسة الأمريكية؟ وهل من الممكن التقريب بين القومية العربية والولايات المتحدة؟

الرئيس: إن مشكلة أمريكا هى أنها ليست لها سياسة حيالنا؛ فالأمريكان يريدون أن يكون لهم نفوذ فى المنطقة كأية دولة كبرى، وهذا يسبب انحرافات بيننا، ويبدو أنهم فى الوقت الحاضر ملتزمون الهدوء.

سؤال: تواصل جريدتا "نيويورك تايمز" و"نيويورك هيرالد تريبيون" - وهما جريدتان تمثلان الرأى العام فى أمريكا - تواصل هاتان الجريدتان مهاجمتهما، وأظن أن فى هذا تناقضاً، فمن ناحية تناصر هاتين الجريدتين حلف بغداد، الذى يعمل الآن من أنقرة، وفى الوقت ذاته تؤيدان إسرائيل، تؤيدان بريطانيا فى سياستها ضدكم، وبهذا تحولان دون أن تكونوا معكم.

الرئيس: كل هذا صحيح.

سؤال: والآن يا سيدى الرئيس.. فلنعد إلى الحديث عن العراق، ما شروطكم للصلح معه؟ وما الطريقة التى ترون أنه يمكن بها حل المشاكلات القائمة بينكم؟

الرئيس: يجب على حكومة العراق أن تكف عن أن تجعل من أرض العراق العربى قاعدة ضد العالم العربى، وإذا كان من تبقى من قادة العراق قد عزلوا أنفسهم عن الأسرة العربية؛ فماذا نستطيع أن نصنع حيالهم؟ إنهم لايدركون أنهم جزء من الأسرة العربية، يرتبط معنا بروابط تاريخية وثقافية وبضرورات دفاعية، والمشكلة مشكلة تضامن وعلاقات أخوية بين العراق وبقية العالم العربى.

ولكن الشيوعيين يريدون الآن أن يقضوا على هذه الرابطة الأساسية القائمة بيننا؛ لهذا نتوقع كفاحاً طويلاً بين الشيوعيين والقوميين العرب، والحقيقة هى أن الحكومة العراقية الحالية غير راغبة فى التهدئة؛ بدليل أن قاسم تهرَّب من مقابلتى حتى كمجرد إجراء محادثات؛ فماذا نستطيع أن نفعل والحال هذه؟ إنه ليس لنا شخص كسفير للعراق نستطيع التحدث معه، لقد أبعد قاسم دبلوماسيينا، وفى الوقت ذاته فصل دبلوماسييه العاملين فى القاهرة، ومن العجب أننا لا نستطيع أن نرد عليه بالمثل.

سؤال: قال لى الزعيم العراقى كامل الكادرجى: "إن المشكلة الرئيسية بينكم وبين حزبه، هى أن سياستكم تدعيم الوحدة قبل الديمقراطية، فى حين يرى حزبه أن تتم الوحدة مع الديمقراطية، ولكنكم رفضتم قيام أحزاب سياسية فى العراق". لقد غير الكادرجى موقفه عندما صرح بأنه من أنصار الديمقراطية الموجهة، وقد سبق أن قلت لكم إنى طلبت منه أن ينسى فكرة الوحدة والاتحاد، وأن يعمل على تعزيز الثورة بالعراق أولاً.

الرئيس: أما فيما يتعلق بمسألة الديمقراطية، فإنى كنت فيما مضى من أشد المؤمنين بها وبنظام الأحزاب، حتى إنى استقلت من مجلس الثورة بسبب هذه المسألة. إلا أنى أدركت بعد ذلك – وأيدته التجربة – أنه لو ترك الحبل للأحزاب على الغارب، لوجدناها تتحول الآن إلى قواعد للنفوذ الأجنبى، وسنجد حزباً يمينياً يعتمد على الاستعمار الغربى، وحزباً يسارياً يعتمد على الاتحاد السوفيتى، وتضيع المصالح القومية الوطنية؛ لذلك كان رأينا قيام فترة انتقال نضع فيها الأسس لمجتمع المستقبل. ثم إن الجيوش لعبت كذلك دوراً هاماً فى الثورات العربية، ولست أريد أن تصل عدوى السياسة الدولية والمنافسات الحزبية إلى رجال الجيش، لهذا فإننا نريد أن نوجد إصلاحات اجتماعية واقتصادية قبل كل شىء، ثم نوجد نظاماً ديمقراطياً مناسباً لظروفنا.

ونحن نحاول تطوير ديمقراطية مناسبة لظروفنا الخاصة، ومنظمتنا السياسية المعروفة بالاتحاد القومي يجرى الآن توسيعها وتعميقها، بحيث تعتمد على أساس من جمهرة الشعب ومن الانتخابات، التى تجرى فى القرى والمراكز، ونحن نعتزم جعل التعاونيات الريفية أساس الديمقراطية التى يعتمد عليها الاتحاد القومى.

والصعوبة الأساسية التى تواجهنا هى إيجاد طريقة للربط بين العمال والمثقفين داخل الاتحاد القومى.. إننا نعد الآن مشروعاً؛ لجعل الاتحاد القومى ديمقراطيّاً وشعبيّاً، ونرجو أن نفرغ من إعداد الصورة الأساسية الكاملة لهذا التنظيم عن قريب.

وفيما يتعلق بالتقدم الاجتماعى والاقتصادى.. فإننا قد أحرزنا درجة عظيمة، وإن كان ما وصلنا إليه ليس بكاف طبعاً. إن هدفنا هو أن نضاعف الإيراد القومى، ولكن هذه العملية تتطلب ما بين ١٥ سنة إلى ٢٠ سنة. وإننا ماضون فى الأخذ بالنظام التعاونى فى القطاعين الريفى والاجتماعى، وأصبحت لدينا منظمة تعاونية للبترول والوقود. وإننا ننشئ ٣ مدارس جديدة كل يومين، والحق أن ما حققناه فى ميدان التعليم مدهش وجدير بالدراسة. وفى الوقت نفسه جارى إنشاء مصانع ومؤسسات صناعية ومعامل تكرير، ولاسيما فى الإقليم السورى من الجمهورية العربية المتحدة. وأنا وزملائى نتابع موكب التطور العالمى، خصوصاً فى البلاد التى تتشابه ظروفها مع ظروفنا؛ كالهند والصين مثلاً، ثم نقوم بدراسة مقارنة لمختلف المشاكل والحلول الموثوق بها.

سؤال: يبدو لى يا سيدى الرئيس إذا سمحت لى بعرض اقتراح، إن أمامكم مشكلتين أساسيتين لابد من إيجاد حل لكل منهما: وأولاهما هى كيفية الربط بين طبقة الفلاحين الفقيرة مع الطبقة الأغنى فى نطاق النظام الاجتماعى للاتحاد القومى، والثانية هى كيفية الربط بين المستويات المختلفة للنهوض فى العالم العربى ومستوى الجمهورية العربية

المتحدة، مع ملاحظة أن تلك المستويات متفاوتة؛ كـالعراق، ولبنـان، واليمن، والكويت، والسعودية، فهل بحثتم هذه النقطة؟ وما حلكم لها؟

الرئيس: إن تحليلكم للمشكلة الأولى الخاصة باتحادنا القومى صحيح جداً، وهذه هى المشكلة التى نعالجها الآن؛ فنحن نحاول إيجاد طريقة لجعل الفـلاح الذى كان مستغلاً قبل الآن يعمل مع من كانوا سادته، على أسـاس مـن المساواة والمصلحة المشتركة فى نطاق الاتحاد القومى، ومن الحلول التى نفكر فيها هى أن نجعل الجميع أعضاء عاملين فى التعاونيـات القرويـة وغيرها من المنظمات التعاونية فى بلادنا. وأما فيمـا يتعلـق بالمـشكلة الثانية، فإن المسألة مضطربة فى الوقت الحاضر؛ بسبب مؤامرات الدول الكبرى، وبسبب السياسة الدولية، ولكن لا أشك فى أن الـزمن والـصبر سيوفران الحل المنشود لهذه المشكلة.

١٩٥٩/٤/٢١

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى استقبال الأمير الحسن ولى عهد المغرب

■ **سمو الأمير.. أيها السادة:**

يسعدنى أن أرحب بكم - يا سمو الأمير - وبصحبكم فى الجمهورية العربية المتحدة؛ لنعبر عما نكنه لملك المغرب - الملك الصديق محمد الخامس - ولشعب المغرب الشقيق. وإن هذه الزيارة لبلدنا إنما هى تدعيم لأواصر الأخوة والتعاون بين بلدينا.. هذا التعاون الذى استمر على مر الأيام وعلى مر السنين، وهذا التضامن الذى نرجو أن يستمر بين بلدينا، ويجمع جميع الدول العربية فى نطاقه.

إن مصيرنا على مر التاريخ كان مصيراً مشتركاً؛ فحينما سيطرت على بلادنا قوى أجنبية، سيطرت على بلدكم أيضاً قوى أجنبية، وحينما بدأت روح التحرر فى منطقتنا وفى الأمة العربية، كانت هذه الروح تنبع فى بلادنا، وتنبع فى نفس الوقت فى بلادكم، وكان التضامن بين الشعب العربى فى المغرب الشقيق والشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة والشعب العربى فى كل أمة عربية، إنما كان يمثل السند الكبير لنا فى كفاحنا من أجل حريتنا ومن أجل استقلالنا.

لقد كافح المغرب الشقيق بقيادة جلالة الملك محمد الخامس؛ من أجل الحصول على الحرية والاستقلال، واستطاع بما بذل من الضحايا والشهداء،

وبتصميمه على أن ينال الحرية والاستقلال، وبتضحية الملك محمد الخامس الذى آثر أن يترك العرش ولا يستسلم ولا يوقع وثيقة يتنازل فيها عن حقوق بلاده.. لقد كان لهذا كله الفضل الكبير فى تحقيق الحرية والاستقلال، التى حصلت عليها المغرب الشقيقة.

ومنذ عدة سنوات فى مثل هذه الأيام، اجتمع مؤتمر باندونج، وكانت الدول الآسيوية – الإفريقية فى باندونج تفتقد أشقاء لها فى شمال إفريقيا؛ لم تتمكن من أن تحضر هذا الاجتماع، باعتبارها دولاً مستقلة.

وكان مؤتمر باندونج الذى كان يسعى لتحقيق مبادئ عادلة للتعامل بين الدول يهدف أول ما يهدف إلى حق تقرير المصير، وإلى حق كل دولة فى أن تستقل، وإلى حق كل دولة فى أن تباشر سياستها، بدون أن تكون خاضعة لسياسة القوة، أو بدون أن تكون ألعوبة فى يد أى دولة من الدول الكبرى، وكانت المغرب الشقيقة فى هذه الأيام تكافح من أجل حريتها ومن أجل استقلالها، وكان الملك محمد الخامس يقود هذا الكفاح.

واليوم، ونحن نرحب بكم فى زيارتكم لبلدنا وبهذه المناسبة – ذكرى مؤتمر باندونج الذى عقد فى عام ١٩٥٥ – يسعدنا أنكم استطعتم بكفاحكم أن تحققوا استقلالكم وحريتكم، ويسعدنا أيضاً أن نرى هذه الروح العالية فى التضامن العربى التى تجمع بين الشعب العربى فى المغرب والشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة. ويسعدنا ونعتز بأن نراكم ترفعوا المبادئ العالية؛ من أجل الحرية والاستقلال، ومن أجل الحرص على هذه الحرية وهذا الاستقلال؛ فلا تبعية ولا سيطرة أجنبية.

هذه الروح التى سارت بها المغرب، وهذا التضامن الذى يجمع المغرب الشقيق بالجمهورية العربية المتحدة؛ إنما هى تعبير أصيل عن القومية العربية.. القومية العربية السمحة، القومية العربية التى تعبر عن المحبة والإخاء والتضامن والتضحية؛ فإن القومية العربية إنما هى رسالة انبعثت من كفاح

الشعب العربى على مر السنين وعلى مر الأيام، وكما قلت: فإن سقوط أى بلد عربى إنما كان دائماً هو البداية لسقوط باقى البلاد العربية. وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وقبل الحرب العالمية الأولى، حينما تعرضت البلاد العربية للمحاولات الأجنبية للسيطرة والاحتلال، وبدأ هذا الاحتلال ببلد عربى.. سرى هذا الاحتلال وهذه السيطرة سريان السرطان بين أرجاء الأمة العربية.

إن مصيرنا واحد، وإن كفاحنا من أجل الحرية والاستقلال فى أى بلد عربى إنما يؤثر علينا فى جميع أنحاء العالم العربى. واليوم رسالة القومية العربية التى ننادى بها، والتى تمثل التضامن والأخوة والمحبة؛ إنما هى رسالة سمحة، تمثل التضامن وتمثل القوة وتمثل المحبة بين الشعوب العربية وتمثل التعاون؛ لنعوض ما فات فى أيام السيطرة الأجنبية وأيام الاحتلال. وهى لا تمثل بأى حال من الأحوال العنصرية أو السيطرة أو التحكم؛ لأنها تنبعث من مصالحنا جميعاً، وتنبعث من آمالنا، ثم تنبعث من كفاحنا الماضى الطويل؛ من أجل الحصول على استقلالنا، ومن أجل الحصول على حريتنا.

إننى - يا سمو الأمير - حينما أرحب بكم إنما أعبر عن تقدير شعب الجمهورية العربية المتحدة، وإنما أعبر عن تحية شعب الجمهورية العربية المتحدة للمغرب الشقيق وشعب المغرب، وللملك محمد الخامس الذى قاد المغرب فى كفاحه؛ من أجل حريته ومن أجل استقلاله، وأرجو أن تتقبلوا منى هذه التحية، وأشكركم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٥٩/٤/٢٣

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى الوفود اللبنانية من القصر الجمهورى بالقاهرة

■ فى الحقيقة الفترة اللى مضتها معكم تعتبر من أسعد الفترات اللّى أستطيع أن أشعر بها؛ لأنها كانت دائماً تعبر عن هذه العواطف النبيلة الكريمة.. تعبر عن الإخاء وعن المحبة التى هى دستور وحدة الأمة العربية بدون دستور.. الإخاء بين الشعب العربى فى كل بلد عربى، والمحبة بين العرب فى كل بلد عربى. وإننا نشعر بثقة كبيرة فى المستقبل بعون الله؛ لأننا إنما نسير فى طريقنا من أجل عزة بلدنا وعزة العروبة جمعاء. ونحن نعتمد على هذه الروح، التى تنبعث من كل بلد عربى ومن كل قرية عربية؛ بدون أن نلتقى بأبنائها إلا التقاء المشاعر، وإلا الالتقاء فى حب أمتنا العربية، وفى استقلال بلادنا العربية، وفى العمل من أجل عزة الوطن العربى.

إن أعداء الأمة العربية حاولوا دائماً - بكل وسيلة من الوسائل - أن يفرقوا بين أبنائها، وأن يفرقوا بين الدول العربية، ويبثوا حملات من الكراهية بين أرجاء الشعب العربى فى كل وطن عربى. وقد تعرض لبنان الشقيق لهذه الحملات زمناً طويلاً، ولازالت حملات الكراهية تنبث فى أرجاء لبنان وفى أرجاء العالم العربى. لقد كانت فى الماضى هذه الحملات تقوم بها الدوائر الاستعمارية الغربية، واليوم تقوم بها الدوائر الاستعمارية وأعوان الاستعمار، كما يقوم بها

الشيوعيون العملاء؛ وهم بهذا إنما يحاولون أن يفتتوا وحدة الشعب العربي؛ ليتمكنوا منا وليخضعونا.

ولكن هذه الروح وهذا الوعي.. الوعي الكبير الذي لمسته في كل مناسبة، والذي يزيدني دائماً اقتناعًا بأن الأمة العربية بعد أن قاست طويلاً في الماضي، صممت على أن تتسلح بالوعي حتى تقف ضد أعدائها؛ هذا الوعي هو سلاحنا ضد من يريدون أن يسيطروا علينا، وضد من يبثون الكراهية والفتنة بين ربوعنا، وضد الطامعين فينا، سواء أن كانوا استعماريين أم شيوعيين عملاء. ولهذا فإننا نسير للمستقبل بعزم وإيمان، بأخوة ومحبة وتضامن.. نسير للمستقبل تجمعنا الوحدة.. وحدة القلوب، الوحدة التي عبرتم عنها اليوم بهذه المشاعر الجميلة التي تعبر عن المحبة الخالصة، المحبة التي لا تبغي ثمناً، ولا تبغي أي شيء إلا إيمانها بحقها في الحرية وحقها في الحياة، متكاتفة مع إخوتها العرب في كل بلد عربي.

هذه الروح وهذه المشاعر التي رأيتها اليوم؛ إنما هي سلاحنا الأساسي في معركتنا الكبرى؛ من أجل حرية الأمة العربية وتضامنها، ومن أجل وحدة العرب ضد أعداء العرب، ومن أجل تضامن العرب ضد أعداء العرب، ومن أجل خلق وطن عربي عزيز كريم في كل بلد عربي، ومن أجل الوحدة العربية التي تجمعنا الآن في هذا المكان بلا وحدة دستورية ولا وحدة قانونية، لأنها وحدة المشاعر.. ووحدة نعبر عنها بتبادل المشاعر، تبادل المحبة، وتبادل الإخاء، وتبادل الرجاء للخير لكل منا في أي بلد عربي.

هذه هي فعلاً الوحدة الحقيقية التي تجمعنا؛ فكل ما يصيب لبنان يصيبنا، وكل ما يصيبنا يصيب لبنان، وكل ما يصيب أي بلد عربي يصيبنا جميعاً. هذه هي وحدتنا، وهذا هو تعبيرنا عن الوحدة العربية؛ الوحدة للتكاتف ضد أعدائنا.. ليست الوحدة المبنية على الطمع، ولا الوحدة المبنية على العمل من أجل الأجنبي، أعوان الاستعمار أو من أجل الأجنبي للتبعية، ولكنها وحدة خالصة بدون أطماع، وبدون أسانيد دستورية. وهي التي تجمعنا الآن في هذا المكان،

نحن أبناء الجمهورية العربية المتحدة وأبناء لبنان، ونشعر جميعاً بالمحبة ترفرف فوق رءوسنا، والإخاء يجمع شملنا، والشعور الطيب والأمانى الطيبة، تنبثق من مشاعرنا وتنبثق من نفوسنا.

بهذه الروح نأمل فى المستقبل، وبهذه الروح نشعر أن هناك قوة كبرى فى لبنان ضد حملات الكراهية التى تستهدف لبنان كما تستهدف الجمهورية العربية المتحدة، وضد حملات الكراهية التى تستهدف جَرنا جميعًا للخضوع لسيطرة الاستعمار، وضد حملات الكراهية التى يقوم بها الشيوعيون؛ من أجل ربطنا بعجلة التبعية.

بهذا الإيمان، وبهذه الروح الطيبة، وبهذه المحبة، وبهذه الأخوة؛ سننتصر دائماً – بإذن الله – فى المستقبل كما انتصرنا فى الماضى.

وإنى أرجو لكم وللبنان الشقيق ولرئيس لبنان الشقيق، كل عز وكل تقدم وكل رفاهية، وأرجو أن تبلغوا لشعب لبنان تحياتى، ومشاعر شعب الجمهورية العربية المتحدة، وأشكركم جدًّا.

٢٣ / ٤ / ١٩٥٩

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى سجل معرض البترول العربى

■ إن انعقاد مؤتمر البترول العربى الأول لجامعة الدول العربية يعتبر بداية للعرب فى طريق البحث العلمى الجماعى؛ من أجل مصلحتهم ومصلحة الإنسانية جمعاء. وإن انعقاد المؤتمر فى حد ذاته يعتبر كسبًا كبيرًا؛ حيث إن الفرص أصبحت مواتية لجميع الأطراف؛ للتعبير عن آرائها وفى نفس الوقت بحثها ومناقشتها، سواء فى ذلك الدول المنتجة أو الشركات الباحثة، وفى ذلك فائدة كبرى للتفاهم والتعاون. وأرجو أن يستمر اجتماع هذا المؤتمر سنويًا لما فيه فائدة الجميع، وشكراً للسيد أمين جامعة الدول العربية على مبادرته وجهوده فى هذا الأمر، وكل من اشترك فى هذا العمل، وأرجو من الله التوفيق للجميع.

١٩٥٩/٤/٢٥

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى الاحتفال بتخريج دفعة جديدة من ضباط الكلية الحربية بالقاهرة

■ أعبر لكم عن تهنئتى بتخرجكم، وأتمنى لكم جميعًا كل خير، وحسن البلاء، والعمل من أجل رفعة شأن وطننا. الظروف دائماً بتتغير وتختلف بالنسبة للدول، ولكن مهما اختلفت الظروف أو تغيرت.. فإن رجال القوات المسلحة عليهم واجب أبدى؛ هذا الواجب هو حماية الوطن، وفى نفس الوقت حماية أهداف الشعب الذى نمثله جميعاً، وفى نفس الوقت الاستعداد لحماية المكاسب التى حققناها فى كل وقت. دى رسالة القوات المسلحة، وبتعتبر رسالة مقدسة؛ لإن كل واحد فى سبيلها بيكون على استعداد لأن يبذل دمه، ويضحى بروحه اللى هى أغلى شىء بالنسبة لأى فرد فى الوجود؛ ببذلها راضى فى سبيل وطنه، وفى سبيل حرية بلده، وفى سبيل عزة بلده، وفى سبيل أن يعيش باقى أبناء الوطن أحرار يتمتعون بالحرية ويتمتعون بالاستقلال.

النهارده بنشعر إن احنا جزء من الجيش الوطنى القوى اللى كان اللى قبلكم بيتمنوه، وكنا زمان نتمنى أن نرى الجيش الوطنى القوى؛ الجيش الوطنى بمعنى انه بينبثق من الشعب، ويعمل لتحقيق أهداف الشعب ولحماية الشعب، الجيش القوى اللى بيستطيع إنه يحقق هذه الرسالة، اللى وضعت على عاتقه من جميع أفراد الشعب، مهما اختلفت اتجاهاتهم ومهما اختلفت أعمالهم، ولكنهم جميعًا يعملوا ويعتقدوا أن هناك الجيش الوطنى اللى بيحميهم واللى بيحمى مستقبلهم

مهما اختلفت الظروف، ومهما اختلفت الأيام؛ فهذه الرسالة رسالة باقية ورسالة أبدية لرجال القوات المسلحة.

لما ننظر للوضع بتاعنا فى العالم - ولا نستطيع بأى حال من الأحوال أن ننفصل عن العالم. نجد أننا فى منطقة استراتيجية، وتاريخها كان دائماً تتمثل فيه جميع الخلافات، ويتمثل فيه الصراع بين الدول الكبرى للسيطرة على هذه المنطقة؛ لما لها من أهمية حيوية، ولما لها من أهمية استراتيجية.

فالمسئولية اللى علينا - نحن جنود الجمهورية العربية المتحدة - مسئولية كبرى؛ لأننا دائمًا نتعرض لتيارات مختلفة، ودائمًا نتعرض لأطماع الدول التى تريد أن تكون لها القوة، وتعتقد أن سيطرتها على هذه المنطقة من العالم ستمكنها من القوة. ونحن قد اخترنا وصممنا على أن تكون سياستنا سياسة مستقلة، وعلى أن تكون بلادنا أيضًا مستقلة، حينما أعلنا سياستنا المبنية على سياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز. ومعنى هذا أننا لن نخضع لسياسة مراكز القوة التى تتبعها الدول الكبرى، ولن نرضى بأى حال من الأحوال أن نكون ذيولاً لأى دولة من الدول، أو أن يقرر مصيرنا فى بلد أجنبى، أو أن تقرر السياسة التى نتبعها فى عاصمة أجنبية.. قررنا هذه السياسة، وأجمع الشعب على تأييد هذه السياسة، وسرنا فى سبيل تطبيق هذه السياسة.

وهذه السياسة - أيها الإخوة - ليست بالسياسة السهلة؛ لأن الدول الكبرى التى تطمع فى هذه المنطقة، كل منها يحاول أن يجعلنا ذيلاً لها؛ حتى تستطيع أن تكون هذه المنطقة أو هذه البلاد ضمن مناطق النفوذ لها؛ وبهذا طبعاً نفقد جزءًا من استقلالنا، ونفقد حريتنا فى تقرير سياستنا. قاومنا كل السياسات التى كانت تهدف إلى وضعنا داخل مناطق النفوذ فى الماضى، وكنا نعتقد أننا نقاوم الدول الكبرى، ونقاوم قوى لا يمكن أن نقارن قوتنا المادية بها، ولكنا فى نفس الوقت كنا نؤمن أن لا خير فى حياة تحت السيطرة الأجنبية، وأن لا خير فى حياة ضمن مناطق النفوذ، ويجب أن نقاوم بكل وسيلة من الوسائل وضعنا داخل مناطق النفوذ.

على هذا الأساس، قاومنا حلف بغداد وقاومنا الأحلاف العسكرية، ولم يكن حلف بغداد فى هذا الوقت يستهدف بغداد وحدها، ولكنه كان يستهدف وضع جميع الدول العربية داخل مناطق النفوذ الغربية. وصممنا - رغم أننا نشعر ونعلم قوتنا مقارنة بقوة الدول الكبرى - صممنا على أن نضع هذه السياسة موضع التنفيذ؛ سياسة عدم الانضمام إلى الأحلاف أو عدم الدخول ضمن أى منطقة من مناطق النفوذ، وكافح الشعب كله، وهو يعتمد على قواته المسلحة لتحميه فى وقت الشدة.. كافح الشعب العربى فى الإقليم الشمالى فى سوريا ضد الأحلاف، وانتصر الشعب العربى.

ولم يستطع حلف بغداد أن يمتد خارج حدود العراق ليضم معه سوريا، وكافح الشعب هنا فى مصر فى نفس الوقت - وكان هذا قبل الوحدة - من أجل نفس الهدف ومن أجل نفس الغرض، واستطاع أن يحقق هدفه؛ ولم ننضم إلى أى حلف، ولم تستطع مناطق النفوذ الغربية أو سياسة مناطق النفوذ أن تطوينا معها، أو أن تخضعنا لإرادتها.

ونجحت هذه السياسة؛ لأن الشعب كله أجمع عليها.. أجمع عليها فى الشمال كما أجمع عليها فى الجنوب، وكان التقاء هذه الإرادة هو مقدمة للوحدة التى جمعتنا تحت علم الجمهورية العربية المتحدة؛ لأن المعارك التى خضناها فى الشمال والمعارك التى خضناها فى الجنوب كانت معارك متشابهة متجانسة، وكان كفاح الشعب فى الشمال يلتقى مع كفاح الشعب فى الجنوب، كل منهما صمم على أن يكون سيد إرادته، وكل منهما صمم على أن يكون استقلاله استقلالاً حقيقيًا ينبع من أرضه وينبع من ضميره، وكل منهما صمم على أن يقف حاجزًا ضد سياسة مناطق النفوذ والتبعية والأحلاف الأجنبية، وكل منهما كان يعتقد أن الشعب الآخر سيسانده إذا قامت أزمة، أو إذا حل به ضيق.

وكانت هذه هى عناصر الوحدة الحقيقية؛ فإن الوحدة التى جمعتنا لم تكن وليدة يوم إعلانها دستوريًا، ولكنها كانت حقيقة واقعة قبل ذلك بزمن طويل؛ لأن

الوحدة فى المعارك، والوحدة فى الأهداف، ثم الوحدة فى أن تكون إرادتنا إرادة مستقلة، ثم الوحدة فى تبنى سياسة القومية العربية، التى كانت سياسة قديمة بين أرجاء الأمة العربية ولكنها كانت دائماً تتعرض لمقاومة الطامعين فيها، وكانت تنتظر الحرية والاستقلال للشعوب العربية أو لأى من الشعوب العربية حتى تعلن للملأ واضحة صريحة. فحينما استقلت سوريا وطردت الفرنسيين، واستطاعت أن تحرر إرادتها ثم تحرر مشيئتها، كانت دمشق هى قلب العروبة النابض الذى رفع راية القومية العربية. وكنا نقاسى هنا فى القاهرة من السيطرة البريطانية، وكانت باقى البلاد العربية تقاسى من آثار الحرب العالمية الأولى، التى وضعتها تحت الاحتلال وتحت السيطرة الأجنبية، وبمجرد أن استقلت سوريا رفعت هذه الراية وأعلنت هذه الدعوة، وتبنى الشعب فى سوريا هذه الدعوة؛ دعوة القومية العربية، وكان كل فرد من أبناء الشعب السورى يشعر أنه لا يمكن أن يحس بالحرية الحقيقية أو الاستقلال الحقيقى، طالما كان هناك بلد عربى يئن من السيطرة الأجنبية ومن الاحتلال.

وحينما تحررت إرادة القاهرة وتحررت مشيئتها بالتغلب على الاحتلال البريطانى، وطرد قوات الاستعمار البريطانى من مصر.. حينما تحررت هذه الإرادة وتحررت هذه المشيئة، ارتفعت أيضًا هذه الراية فى القاهرة.. راية القومية العربية وراية التضامن العربى. وكان إخوتنا هنا فى القاهرة يشعرون أيضًا أن لا طعم لهذه الحرية ولا طعم لهذا الاستقلال، طالما كانت بقية البلاد العربية أو أى من البلاد العربية تئن من السيطرة الأجنبية أو من الاحتلال؛ لأننا كنا نشعر أن حريتنا إنما هى متماسكة، وأن استقلالنا هو متماسك، وأن وقوع أى بلد عربى أو بقاء أى بلد عربى تحت سيطرة أجنبية، إنما هو تهديد لحريتنا وتهديد لاستقلالنا.

وبهذا حينما تحققت الحرية والاستقلال فى سوريا، ثم حينما تحققت الحرية والاستقلال فى مصر، ارتفعت فى دمشق والقاهرة راية القومية العربية ودعوة القومية العربية، والتقت إرادة الشعب العربى فى سوريا مع الشعب العربى فى

مصر؛ من أجل تثبيت هذه الحرية والاستقلال، ومن أجل العمل والتضحية فى سبيل رفع راية القومية العربية. وكنا نشعر فى هذا الوقت أن القوات المسلحة والجيش الوطنى القوى ضرورة كبرى لحماية هذه الرسالة؛ لحماية الحرية وحماية الاستقلال، ثم لحماية الدعوة الكبرى.. دعوة القومية العربية التى وجدت الفرصة فى هذه الأيام لترتفع أو لتثبت وجودها. وليست دعوة القومية العربية بدعوى عنصرية، وليست دعوة القومية العربية دعوة تتعلق بفرد أو بجمال عبدالناصر، وليست دعوة القومية العربية دعوة جديدة، ولكن دعوة القومية العربية دعوة قديمة منذ قرون طويلة كانت تظهر.. تظهر قوتها حينما تتحرر البلاد العربية وحينما تشعر بخطر. فمنذ القرن العاشر كانت دعوة القومية العربية عالية وعلمها فى السماء؛ لأن الأمة العربية حينما تعرضت للغزو وحينما تعرضت للتهديد.. استطاعت أن ترى أن بقاءها، وأن الحفاظ على تقاليدها وعلى أرضها هو فى التمسك بدعوة القومية العربية.

وفى هذه الأيام، اندمج الجيش السورى مع الجيش المصرى فى الدفاع عن القومية العربية، وعن مقدرات العرب وأرضهم وحضارتهم، واستطاع الجيش العربى الموحد فى هذا الوقت أن ينتصر على الصليبيين الذين استمروا فى بلادنا العربية مدة تزيد أكثر من ثمانين عامًا، ولم يستطيعوا أن يحققوا النصر إلا حينما تمسكوا بالقومية العربية، ووضحوا دعوة القومية العربية. وحينما شعروا أن حريتهم فى وحدتهم وفى تكاتف جيوشهم تكاتف الجيش السورى مع الجيش المصرى، واستطاعوا بذلك أن ينقذوا سوريا وأن ينقذوا مصر وأن ينقذوا فلسطين، وأن ينقذوا باقى البلاد العربية التى استولى عليها الاستعمار الصليبى. وفى الحقيقة ليست دعوة القومية العربية هى دعوة جديدة أو رسالة جديدة أو اكتشاف جديد، ولكنها كانت دائماً دعوة راسخة خالدة فى نفوس الأمة العربية، وكانوا ينشغلون عنها بعض الوقت، ولكنهم كانوا يتمسكون بها حينما يهددهم خطر.

وحينما غزا التتار هذه المنطقة من العالم - البلاد العربية - واستطاعوا أن يفتحوا بغداد، ويعبروا الفرات إلى سوريا، ثم يهددوا مصر.. كانت هذه الغزوات وكان هذا التهديد واضح كل الوضوح للأمة العربية، ثم كان من الواضح أيضًا أن لا سبيل إلى صد هذا الغزو إلا تحت راية القومية العربية. وعلى هذا الأساس اتحد أيضًا الجيش المصرى مع الجيش السورى، وخاضوا معركة المصير، واستطاعوا أن يهزموا جيوش التتار، التى لم تكن قد هزمت من قبل فى زحفها حتى وصلت إلى الأراضى السورية، واستطاعوا بعد ذلك أن يتعقبوا التتار الذين هزموا حتى عبروا نهر الفرات. واستطاعت هذه الوحدة، واستطاع الجيش العربى الموحد مرة أخرى أن يحمى البلاد العربية والدعوة العربية، وأن يحمى القومية العربية والحضارة العربية، ولم تكن هذه الرسالة هى رسالة عنصرية أو رسالة تتبين منها الأنانية، ولكنها كانت رسالة التضحية والقتال، ورسالة الدفاع عن المصير العربى.

وحينما تعرضت الأمة العربية بعد ذلك فى أيام الحرب العالمية الأولى لأطماع الطامعين، وحينما أراد العرب أن يتخلصوا من الاحتلال العثمانى الذى استمر أكثر من خمسمائة عام.. كان سبيلهم إلى هذا هو رفع راية القومية العربية مرة أخرى، وجمع شمل العرب مرة أخرى؛ حتى يتخلصوا من هذا الاحتلال الطويل. وثارت هذه الثورة - الثورة العربية - ثارت ترفع هذه الراية، ولكنها أخطأت لأنها لم تعتمد على نفسها وعلى الشعب العربى، بل تحالفت مع بريطانيا، ولا يعقل بأى حال من الأحوال أن تقبل أى دولة من الدول الكبرى لنا أن نستقل أو أن نتضامن أو أن نتحد. وصارت بريطانيا تستغل القومية العربية وتستغل رسالة القومية العربية لأهدافها؛ حتى تستطيع أن تتخلص من الإمبراطورية العثمانية، ولكنها بعد أن انتصرت، تنكرت لجميع الوعود التى قطعتها على نفسها إبان الحرب العالمية الأولى، وقسمت البلاد العربية بينها وبين فرنسا.

ثم ثارت البلاد العربية بعد ذلك.. كل بلد ثار ثورات متعددة ليحصل على حريته أو يحصل على استقلاله، حتى حرب فلسطين. وفى حرب فلسطين دخلت الدول العربية هذه الحرب، ولكنها لم تدخل هذه الحرب تحت راية القومية العربية، بل دخلتها والخلافات تبث فيها الضعف، والأحقاد تبث فيها الفتن، وكنا ٧ جيوش عربية تحارب فى فلسطين تحت سبع قيادات مختلفة أو ست قيادات مختلفة، وكانت المأساة الكبرى التى بليت بها الأمة العربية نتيجة أطماع قادتها، ونتيجة تنكرهم لمبادئ القومية العربية فى هذا الوقت. وكلنا نعلم كيف سارت هذه المعارك، وكلنا نعلم كيف استطاعت إسرائيل أن تستغل فينا هذه الخلافات وهذه الفتن وهذه الأحقاد؛ لتضرب الجيوش العربية جيشًا جيشًا، وكيف كانت تستغل أيضًا هذه الانقسامات؛ حتى تحقق لنفسها أكثر ما تستطيع أن تحقق من مكاسب، وكيف انتهت حرب فلسطين هذه النهاية الأليمة؛ شرد عرب فلسطين وانتصرت الصهيونية.. الصهيونية العالمية، وأصبحت بعد انتصارها خطرًا يهدد الدول العربية جمعاء؛ لأن إسرائيل لم تكن نتيجة مجهودات وقعت أو قامت فى عام ٤٨، ولكنها كانت نتيجة مجهودات استمرت سنين طويلة.

وكان وعد "بلفور" سنة ١٧ هو أول نتيجة حقيقية أو أول نتيجة مادية، ومنذ ١٧ إلى ٤٨ استمرت الصهيونية مع الاستعمار؛ من أجل وضع هذا موضع التنفيذ؛ بمعنى أن سنة ٤٨ لم تكن هى السنة التى بدأت فيها قضية فلسطين وانتهت، ولكنها كانت نتيجة مخططات استغرق وضعها موضع التنفيذ سنين طويلة. ولم تكن بأى حال من الأحوال أهداف الصهيونية العالمية منحصرة فى الجزء الذى استولوا عليه فى فلسطين؛ لأنهم كانوا دائماً ينادون بأن دولتهم أو مملكتهم المقدسة تمتد من النيل إلى الفرات، وإنهم كما انتهزوا الفرص فى الماضى سينتهزوا الفرص فى المستقبل، وكلنا نعلم أنهم ضموا بعض الأراضى المصرية من منطقة سيناء، بعد أن قاموا بعدوانهم؛ على أمل أن تستمر تحت سيطرتهم.

إذاً ليست المأساة وليست الكارثة التى حلت بنا هى استيلاء الصهيونيون على فلسطين، ولكن هناك التهديد المستمر للتوسع.. التهديد المستمر للتوسع من النيل إلى الفرات، وهذا لا يمكن أن يحدث على مرحلة واحدة، ولكنه يحتاج إلى مراحل وإلى سنين.

إذاً هذا خطر قائم على الدول العربية جمعاء؛ على الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها، وعلى لبنان، وعلى الأردن، وعلى العراق، وبهذا تنمحى القومية العربية وتحل محلها قومية دخيلة صهيونية.

هذه هى الأخطار التى نتعرض لها نتيجة انقسام الدول العربية وفرقتها فى عام ٤٨، ونتيجة تنكرها لرسالة القومية العربية.. فإذا قارنا ذلك بانتصاراتنا فى القرن العاشر والقرن الثالث عشر ضد الغزو الصليبى الاستعمارى وضد غزو التتار.. نعرف الفرق ونعرف أن بقاءنا ونعرف أن المحافظة على أرضنا وعلى عروبتنا وعلى حريتنا، هو فى اتحادنا وتضامننا، هو فى فهمنا للقومية العربية، ولا يمكن للأطماع والأحقاد أن تفرق بيننا. ولكن هذا لا ينسجم بأى حال من الأحوال مع مصالح الصهيونية العالمية؛ لأن الصهيونية العالمية وإسرائيل تعتقد أن وحدة العرب أو تضامن العرب أو وحدة العرب عسكريًا، إنما تعنى بالنسبة لهم عدم تمكنهم فى المستقبل أى حال من الأحوال للتوسع فى البلاد العربية، وإنما تعنى بالنسبة لهم خلق مجتمع عربى قوى على حدودهم، وهذا لا يمكنهم بأى حال أن يحققوا أطماعهم أو أن يضعوها موضع التنفيذ، أو أن ينتهكوا حقوق شعب فلسطين الذى طرد من فلسطين سنة ٤٨، ولايزال يصمم على استعادة حقوقه فى بلده وفى أرضه وفى أملاكه التى اغتصبت منه اغتصابًا.

لهذا دأبت الصهيونية العالمية -بكل وسيلة من الوسائل- على حرب القومية العربية، وعلى عدم تمكين البلاد العربية من التضامن أو الاتفاق العسكرى. وكانت تستغل فى هذا كل ما يمكن لها أن تستغل؛ سواء نفوذها فى الدول الاستعمارية، وسواء فى هذا الأموال أو الإغراء أو الاعتماد على الخونة العرب الذين طعنوا البلاد العربية فى الماضى. وكان الاستعمار أيضًا - الذى كان

يطمع فى وضع هذه المنطقة من العالم ضمن مناطق النفوذ، وأن يسيطر عليها، وأن يأخذ لنفسه الخيرات بأبخس الأثمان منها، وأن تكون له فيها القواعد والمطارات حتى يكون له تفوق عسكرى - كان الاستعمار الغربى يشعر أنه لايستطيع أن يحقق هذه الأهداف وهذه الأغراض، إذا كانت هناك أمة عربية قوية، أو إذا كان هناك تضامن يجمع بين الدول العربية، أو إذا كان هناك جيش عربى موحد يعمل على حماية هذه الأمة العربية.

ولذلك، فقد حاول الاستعمار بكل وسيلة من الوسائل أن يفرق بين الدول العربية، وأن يخلق بينها البغضاء والتنابذ، مستغلاً فى ذلك الخونة أعوان الاستعمار من أعوانه الذين تعاونوا معه دائمًا، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا وسطاء ليبيعوا له بلدهم بثمن بخس، هؤلاء الساسة الخونة الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا عملاء للاستعمار وأعواناً للاستعمار، والذين ارتضوا أن يكونوا فى وطنهم طابورًا خامسًا، ضد رغبة شعبهم وضد حرية بلدهم وضد إرادة أمتهم.

وسار الاستعمار الغربى فى هذا الطريق، واستخدم فى هذا السبيل كل ما يمكن له أن يستخدم من مال ومن نفوذ، ومن دعاية، ومن حرب اقتصادية، ومن حصار اقتصادى. وكان يحاول معتمداً على هؤلاء العملاء أن يخلق بين البلاد العربية الفتن وأن يفتعل الأزمات؛ حتى تنتشر الكراهية وحتى تخلق الكراهية بين البلاد العربية. كان الاستعمار والصهيونية يتحالفون فى هذا المضمار؛ ليفتتوا البلاد العربية ويخلقوا بينها المحن والأحقاد، ولكن وعى الشعب العربى الذى تنبه لكل هذه الأساليب، ثم تصميم الشعب العربى على أن يحقق لنفسه الحرية والاستقلال، ثم معرفته للطريق الذى تتفق مع مصلحته، ومعرفته للطريق الذى تتنافى مع مصلحته؛ هزم كل هذه المحاولات، ولم تستطع محاولات الاستعمار الغربى أو محاولات الصهيونية أن تفرق بين الشعوب العربية، ولو أنها استطاعت لبعض الوقت أن تخلق من بعض السياسيين فى البلاد العربية - هؤلاء العملاء - تخلق زوابع لإثارة الفتن وإثارة الأحقاد، ثم لإشعال الدول العربية والعالم العربى.

ولكن الكراهية التى أرادوا أن يبثوها بين شعوب الدول العربية، أو بين أبناء الشعب العربى فى مختلف الدول العربية، لم تنجح بأى حال من الأحوال لأن الشعب العربى آمن برسالة القومية العربية، وكان يعرف أن البقاء عليه وحماية مصيره هى فى التمسك بهذه الرسالة، وأن وحدة الأمة العربية وتضامنها هو حماية لكل بلد عربى، ثم فى نفس الوقت هو سبيل القوة للأمة العربية، وسبيل العزة والحرية والاستقلال.

سار الشعب العربى فى طريقه وهزم كل هذه المحاولات، وتساقطت رؤوس هؤلاء الخونة، الذين آثروا لأنفسهم أن يكونوا عملاء للأجنبى فى بلادنا، وبقى الشعب العربى مؤمن برسالته، ومؤمن بحقه فى الحرية والحياة. وكان الشعب العربى فى هذه المعارك كلها يؤمن بقواته المسلحة.. يؤمن بالجيش العربى الذى صمم على أن يحمى هذه الرسالة، وصمم على أن يضحى فى سبيل رسالة القومية العربية؛ لأننا جميعاً آمنا أن بقاءنا متوقف على حماية هذه القومية فى أى بلد عربى، وأن محو القومية العربية فى أى بلد عربى، إنما يعنى أن الدور سيلحقنا لتمحى القومية فى بلدنا. وإن محو القومية العربية فى فلسطين إنما كان هو النذير لنا؛ لأننا إذا تخاذلنا أو تكاسلنا.. فإن هذا المصير سيلحقنا كما لحق فلسطين.

وبهذا، ففى السنوات الماضية، صمم الشعب العربى على أن يقف ضد محاولات الصهيونية ومحاولات الاستعمار، ثم صمم الشعب العربى على أن يحمى استقلاله وحريته، واستطاع الشعب العربى أن يهزم ألاعيب الاستعمار وخطط الاستعمار.. واستطاع الشعب العربى أن يبقى خارج مناطق النفوذ.. واستطاع الشعب العربى أن يسقط عملاء الاستعمار، واستطاع الشعب العربى أن يرفع راية القومية العربية عالية منتصرة ضد محاولات الدول الكبرى.

فهل كان هذا نهاية لطريق كفاحنا فى سبيل حريتنا واستقلالنا، وفى سبيل المحافظة على قوميتنا؟ لم يكن هذا نهاية الطريق بأى حال، وأنا كما قلت لكم فى

أول حديثى: إننا هنا فى هذه المنطقة الهامة من العالم، تعرضنا على مر السنين وعلى مر الأيام لأطماع الدول الكبرى، وتعرضنا على مر السنين وعلى مر الأيام لمحاولات إدخالنا ضمن مناطق النفوذ؛ ولهذا، وبالنسبة لموقعنا الهام إستراتيجيًا.. فإننا سنسير فى طريق صعب طويل للحفاظ على هذه الحرية وهذا الاستقلال. بانتصارنا على محاولات الاستعمار لم ينته الطريق؛ لأن الاستعمار لن ييأس مطلقاً، بل سيحاول - بكل وسيلة من الوسائل - أن يضع هذه المنطقة ضمن مناطق النفوذ، معتمدًا على العملاء وأعوان الاستعمار.

وفى نفس الوقت ظهرت هناك عوامل جديدة؛ لأننا بعد أن انتصرنا هذا الانتصار الكبير فى هذه المرحلة ضد قوى الاستعمار ومحاولاته.. شعر الشيوعيون فى البلاد العربية أن الوقت قد آن لهم ليضربوا الحركة العربية القومية، وحركة القومية العربية.. يضربوها ليتخلصوا منها؛ لأنهم يرون فيها عقبة ضد سيطرتهم على البلاد العربية، وبهذا بدأت مرحلة جديدة بل بدأ عامل جديد فى صراعنا وفى معركة القومية العربية.. الصراع الأول هو صراع القومية العربية مع الصهيونية التى ترى فى القومية العربية عقبة ضد أطماعها فى التوسع، وتحقيق حلمها فى خلق ملك إسرائيل بين النيل والفرات. والعقبة الأخرى هى الدول الاستعمارية ومحاولاتها فى وضع هذه المنطقة - وضع البلاد العربية - داخل مناطق النفوذ الغربية. والعامل الجديد هو نشاط الأحزاب الشيوعية فى هذه المنطقة من أجل طعن القومية العربية، وتصفية القومية العربية؛ حتى يخلو الجو للشيوعية لتسيطر على هذه المنطقة من العالم العربى.

وقد بدأ هذا التحول بعد أن قامت الثورة فى العراق.. قامت الثورة فى العراق فى شهر يوليو؛ للتخلص من أعوان الاستعمار فى العراق، ثم نادت الثورة فى العراق بسياسة قومية عربية وتبنت هذه السياسة، وقام الحزب الشيوعى فى العراق فى هذا الوقت بمهاجمة الجمهورية العربية المتحدة، ومهاجمة سياسة الجمهورية العربية المتحدة. وبدأت هذه الهجمات على الجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة العراق بشهر، وكانت تتمثل فى الغمز واللمز، ثم تحورت

وتطورت لتناظر بين فائدة الاتحاد أو الوحدة، وأيهما أفضل.. هل الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة أفضل أو الوحدة؟ وتبنى الشيوعيون فى العراق.. تبنوا فكرة الاتحاد، وعلى هذا الأساس هاجموا الوحدة. ولم يكونوا بهذا فى الحقيقة يرغبون فى وحدة أو اتحاد؛ ولكنهم كانوا يعتقدون أنهم قد يستطيعوا بذلك أن يؤثروا على الوحدة التى جمعت مصر وسوريا، تحت علم الجمهورية العربية المتحدة، وكانوا يأخذون هذه المناظرات ذريعة للسب فى سياسة الوحدة. ولم يكونوا بهذا يقصدون ماذا سيتبع فى العراق، ولكنهم كانوا يقصدون التأثير على الشعب السورى، وإعطاء الحزب الشيوعى فى سوريا فرصة ليبث الفتنة بين أبناء الجمهورية العربية المتحدة.

بدأت هذه المرحلة بعد ثورة العراق بشهر، ثم تطورت وتطورت حتى أصبحت سافرة. وكان الشيوعيون فى العراق والشيوعيون فى سوريا؛ هؤلاء العملاء الذين تنكروا لبلدهم، كانوا بهذا يهدفون إلى تفتيت الوحدة التى جمعت الجمهورية العربية المتحدة من الشعب السورى والشعب المصرى. وكانوا بهذا أيضًا يحاولون أن يطعنوا سياسة القومية العربية؛ لأنهم كانوا يؤمنون أن هذه السياسة، وإيمان الشعب العربى بهذه السياسة، لن يمكن لهم السبيل ولن يمكن لهم النجاح فى سياستهم التى يهدفون بها إلى السيطرة على البلاد العربية. وكان للحزب الشيوعى السورى فى هذا تجربة؛ لأنه حينما قاوم الوحدة فى العام الماضى.. لم يستطع أن يقف أمام تيار القومية العربية، الذى أجمع على الوحدة فى سوريا وفى مصر، ولهذا آثر فى هذا الوقت أن ينزوى ويدخل فى جحوره، حتى يجد فرصة مناسبة؛ ليبث الفتنة ويخضع سوريا للشيوعية، وكانت الفرصة التى وجدها هى ثورة العراق وقيام الحزب الشيوعى فى العراق بالنشاط وبحماية الحزب الشيوعى فى سوريا. وسارت هذه الحملات تستهدف بث الفتنة فى بلدنا، وسارت هذه الحملات تستهدف أول ما تستهدف السياسة التى تبناها الشعب العربى وآمن بها وآمن أنها سبيله الوحيد للحفاظ على كيانه والحفاظ على حريته واستقلاله، وهى سياسة التضامن العربى والقومية العربية.

وبدأت العراق.. أو بدأ الشيوعيون فى العراق يهاجمون سياسة القومية العربية، ثم بدأوا يطعنون سياسة القومية العربية. وكان من الواضح لنا أنهم تناسوا أو نسوا كل ما يمت للاستعمار بصلة؛ الاستعمار الذى كسبنا فى حربنا معه جولة وجولات، ولكن لازالت أطماعه مصوبة نحو بلادنا. وكانوا أيضًا فى نفس الوقت لا ينظرون إلى الصهيونية على أساس أنها الخطر الذى ستتعرض له البلاد العربية، بل آثروا أن يحاربوا القومية العربية؛ لأنهم كانوا يؤمنوا أن بقاء القومية العربية وإيمان الشعب العربى بها هى عقبة مانعة فى سبيل إخضاع الشعب العربى للشيوعية.

وسرنا فى هذا السبيل، ونتتبع ما يحدث من بغداد - ما يحدث من الشيوعيين - بدون أى رد فعل، وكنا نحاول - بكل وسيلة من الوسائل- أن نضع سياسة القومية العربية أو سياسة الإخاء العربى موضع التنفيذ. وحينما قامت ثورة العراق شعرنا بارتياح كبير؛ لأن جيش العراق الذى كان نورى السعيد قد عطله عن التضامن مع الدول العربية، عاد مرة أخرى وأزال هذه العقبات من طريقه، متضامناً مع جيوش الدول العربية؛ ولهذا تضامنا فى أول الثورة مع جيش العراق، لحماية العراق وحماية باقى الوطن العربى ضد مؤامرات الاستعمار، التى صوبت فى هذا الوقت، وكانت تدبر ضد الثورة فى العراق. ولكن ما حدث فى العراق كان ثورة على الثورة؛ فإن الذين قاموا بثورة ١٤ يوليو كلهم الآن فى السجون، وقامت ثورة على ثورة ١٤ يوليه، قام بها الانتهازيون والشيوعيون الذين يتحكمون الآن فى العراق تحت الأسماء والشعارات الزائفة.. زيفوا شعارات الديمقراطية والحزبية، وكانوا يقولون: إنهم يريدون الأحزاب، أين هى الحزبية الآن فى بغداد؟ وأين هى الديمقراطية الآن؟ تحت اسم هذه الشعارات المزيفة التى أعلنها الشيوعيون العملاء فى العراق، قضوا على أى معنى من معانى الديمقراطية الحقيقية؛ لأنهم أقاموا الحكم على الإرهاب وعلى سفك الدماء، صفوا الأحزاب الوطنية، وحرقوا الصحف الوطنية، ولم يبق هناك إلا الحزب الشيوعى - الحزب الشيوعى متحالف مع حزب آخر -

ونحن نعتقد أنه سيذوق من نفس الكأس الذى ذاقت منه باقى الأحزاب التى تركها لتلاقى هذا المصير؛ الديمقراطية الزائفة والشعارات الزائفة، الحرية الزائفة.. حرية المعتقلات وحرية القتل.

قامت ثورة على الثورة، بل قام انقلاب على الثورة؛ حتى تسيطر الأحزاب الشيوعية والشيوعيون العملاء فى البلاد العربية بادئين بذلك فى العراق. قد تتبعنا هذا، وحاولنا بكل وسيلة من الوسائل أن تنتصر سياسة التضامن وسياسة الإخاء، ولكن كان الشيوعيون العملاء فى العراق والانتهازيون فى العراق، يشعرون أن سياسة التضامن هى مرحلة من مراحل سياسة القومية العربية، التى يرون فيها خطراً على عقيدتهم. والمسألة - أيها الإخوة - ليست اختلاف فى العقيدة أو اختلاف فى الفكرة، ولكن المسألة هى السيطرة.. حب السيطرة، ثم سياسة مراكز القوى، ثم سياسة الدول الكبرى، ثم هل سنكون - نحن البلاد العربية - أحرار فى بلادنا أو سنكون تابعين وداخل مناطق النفوذ؟ هل سنتبع سياسة الحياد الإيجابى، أو سنتبع سياسة الانحياز إلى أى معسكر من المعسكرات؛ المعسكر الشرقى أو المعسكر الغربى؟

سياسة القومية العربية التى منعت الحزب الشيوعى فى سوريا - حينما أجمع الشعب إرادته على الوحدة - من أن يستطيع أن يرفع صوته ضد رغبة الشعب، وجد فيها الشيوعيون فى العراق الخطر الكبير على مخططاتهم لإخضاع الدول العربية، ولإخضاع هذه المنطقة للسيطرة الشيوعية. ولهذا.. فإننا نرى اليوم سياسة من الصهيونية العالمية وإسرائيل ضد الجمهورية العربية المتحدة، التى صممت على أن تكون سياستها مبنية على أهداف ومبادئ القومية العربية من الناحية السياسية ومن الناحية الاجتماعية؛ والتى تمثل الوحدة والاتحاد والتضامن العربى.

ثم الاستعمار العالمى أيضًا يقاوم الجمهورية العربية المتحدة، وهو فى هذا يعتمد على العملاء وأعوانه من الخونة أو الانتهازيين، كما يحدث فى العراق. الاستعمار يجد فى نجاح الجمهورية العربية المتحدة ونجاح سياستها تدعيم لقوة

العرب فى هذه المنطقة، ثم خلق لمنطقة مستقلة قوية؛ وهذا يعنى بالنسبة للاستعمار الغربى استحالة عودته مرة أخرى لوضع هذه المنطقة ضمن مناطق نفوذه، فإن الاستعمار ولو أنه هزم فى جولة أو جولات، ولكنه لم ييأس بل إن سياسته لازالت محاولة وضع هذه المنطقة بأى وسيلة - مباشرة أو غير مباشرة - داخل مناطق النفوذ؛ لما فى ذلك من تأثير على الأوضاع الدولية.

وبعد هذا الشيوعية؛ الشيوعية التى أعلنت الأحزاب الشيوعية فى بلادنا عن أهدافها. وفى نفس الوقت المعسكر الشرقى أو الاتحاد السوفيتى، الذى أيدنا حينما كنا نكافح ونقاتل الاستعمار الغربى، وحينما أعلنّا عن سياستنا المبنية على الحياد الإيجابى وعدم الانحياز، لماذا غير الاتحاد السوفيتى موقفه؟ نحن لم نغير سياستنا، منذ أول يوم كانت سياستنا هى سياسة الحياد وعدم الانحياز، وأن تكون مشيئتنا وإرادتنا ملكاً لنا. ولكن الاتحاد السوفيتى بعد أن قامت ثورة العراق، وبعد أن استطاع الحزب الشيوعى فى العراق من أن يدعم وجوده وكيانه، غير سياسته وألقى بكل تأييده مع الأحزاب الشيوعية.. إننا لا نفهم من هذا إلا أن سياسة الحياد التى اتبعناها فى الماضى ليست اليوم هى السياسة التى تلائمه، ولكنه يريد سياسة الانحياز أو وضعنا داخل مناطق النفوذ، نفس الشىء. العقبة الوحيدة فى سبيل وضع هذه المنطقة ضمن مناطق النفوذ سواء للشرق أو للغرب هى الجمهورية العربية المتحدة.

دا الموقف باختصار؛ العقبة فى سبيل توسع إسرائيل ووضع مخططها موضع التنفيذ الجمهورية العربية المتحدة وسياستها المبنية على جمع العرب جميعاً وتضامنهم للوقوف ضد الخطر الصهيونى، والعقبة ضد سياسة الانحياز للشرق أو للغرب هى الجمهورية العربية المتحدة، اللّى نادت دائمًا وتنادى حتى الآن بسياسة الحياد وعدم الانحياز. إذا كان الشرق عايز المنطقة دى تنحاز ليس أمامه إلا أنه يحاربنا.. يحارب الجمهورية العربية المتحدة اللى لن تدخل ضمن مناطق النفوذ، بأى حال من الأحوال. وإذا كان الغرب أيضًا عايز هذه المنطقة تنحاز له ويضعها ضمن مناطق النفوذ - زى ما كان بيحاول دائمًا - ليس أمامه

إلا أن يحارب الجمهورية العربية المتحدة ويخضعها. وهو طبعًا حارب؛ حارب بقواته المسلحة - الغرب - واعتدى علينا، وحارب حرب اقتصادية، وحارب حرب نفسية وحارب حرب الدعاية.. كل أصناف الحروب اللى ممكن يتبعها ضدنا اتبعت؛ ولهذا نجد التقاء بين الجميع فى محاولة للتأثير على شعب الجمهورية.

طبعًا شعب الجمهورية العربية المتحدة لم يتأثر لأنه كافح، والسياسة دى لم تفرض عليه ولكنها سياسة نبتت منه ونبعت من إرادته، الشعب فى سوريا كافح وقاتل، ولاقى الأزمات والصعاب علشان يحافظ على الاستقلال وعلى سياسة الحياد وعدم الانحياز، ورفض رغم جميع التهديدات أن يغير هذه السياسة. وهنا فى مصر أيضًا قبل الوحدة حدث نفس الشىء، بل إن هذه الضغوط وهذه المحاولات كانت هى اللى قربت تاريخ الوحدة وقربت توقيت الوحدة، وكانت عامل من عوامل السرعة فى قيام الجمهورية العربية المتحدة؛ الخطر اللى كان بيتهدد سوريا والخطر اللى كان بيتهدد مصر، وكنا نشعر أن اندماج سوريا ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة سيضاعف من قوتنا، وسيمكنا من أن نكون جميعًا فى المعركة إذا حدث أى اعتداء علينا، فإذا أراد أى معتدى أن يعتدى على سوريا فهو معتدى على سوريا ومصر، وإذا أراد أى معتدى أن يعتدى على مصر فهو معتدى على سوريا ومصر.

الجزء الآخر بعد محاولات تضليل شعب الجمهورية، التى لم تنجح، بل لاقت استنكار الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة - الشعب المتسلح بالوعى - هو حملات الكراهية علشان فصل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى الأمة العربية. هذه السياسة ليست سياسة جديدة، ولكنها سياسة قديمة اتبعها الاستعمار وإسرائيل والصهيونية طوال السنوات الخمس الماضية. والآن بتتبعها الأحزاب الشيوعية والشيوعيين العملاء؛ بنجد إن الشيوعيين فى لبنان مثلاً.. الحزب الشيوعى فى لبنان بيهدف إلى إثارة نوع من الحقد والكراهية؛ علشان يفرق بين شعب لبنان وشعب الجمهورية العربية المتحدة، حملة كراهية وحملة بث أحقاد

وضغائن علشان طبعًا يستطيعوا إنهم يحققوا إرادتهم؛ لإن أى تضامن بيعتبروه ضد إمكانية وضعنا، أو أى بلد عربى، ضمن مناطق النفوذ.

الحزب الشيوعى فى العراق أيضًا بيبث حملة كراهية، نفس الشىء اتبعه الاستعمار، ونفس الشىء اتبعته الصهيونية، بل نفس الشىء النهارده لازال الاستعمار بيتبعه ولازالت الصهيونية تتبعه، واللى بيستمع أو بيقرا إذاعة إسرائيل بيجد نفس الخط؛ خط التوقيع بين الشعوب العربية وبين البلاد العربية، خط خلق التفرقة أو بث بذور التفرقة والفتنة. اللى يستمع إلى إذاعة بغداد بيجد نفس الشىء.. نفس الخط، اللى بيستمع إلى الإذاعة السرية الاستعمارية – صوت مصر الحرة – نفس الشىء، ليه؟ لإن تضامن الشعوب العربية وتمسك الشعوب العربية بسياسة القومية العربية لن يمكّن أيًا منهم أن يحقق أهدافه؛ لن يمكن الصهيونية من إنها تحقق أهدافها فى التوسع وفى ضرب الأمة العربية، ولن تمكن الاستعمار من أن يضع أى بلد عربى داخل مناطق النفوذ، ولن تمكن الشيوعية من أن تضع أى بلد عربى داخل مناطق النفوذ.

يحاول الشيوعيون العملاء فى البلاد العربية اليوم، بالذات فى العراق أو فى لبنان أو الشيوعيون اللى كانوا فى الأردن وهاربانين من الأردن، سايبين الاستعمار وسايبين الصهيونية والنهارده العدو الوحيد أمامهم هو الجمهورية العربية المتحدة والقومية العربية المتحدة، بل إنهم بيجدوا فى حملات الاستعمار وحملات الصهيونية علينا، بيجدوا فيها مساعدة ومعاونة لتحقيق أهدافهم. الغرض هو عزل كل بلد عربى عن الآخر، ضرب فكرة القومية العربية.. سياسة القومية العربية، ثم سيطرة لوضعنا داخل مناطق النفوذ الأجنبى.

الشعب العربى بالوعى والشعب العربى بتجاربه الطويلة، استطاع أن يتنبه لهذه الأساليب. وأنا باقول النهارده: إن احنا كفاحنا طويل إذا كنا بنحب نعيش أحرار، وإذا كنا عايزين نعيش مستقلين. وكما قلت فى الماضى: إن الاستقلال مش بالأمر السهل، الاستقلال بيعوز حماية وبيعوز صلابة وبيعوز تضحية، وطبعاً لا تقارن هذه التضحية ولا هذه المتاعب بالذلة والاستعباد إذا سقطنا

- لا قدر الله - لنكون ضمن مناطق النفوذ.. التَّمَن اللي بندفعه في حرصنا وحمايتنا لحريتنا واستقلالنا وعزتنا لا يقارن بالتمن، اللّى بتدفعه الدول اللى بتدخل لتكون ذيول لدول أجنبية، أو لتدخل ضمن مناطق النفوذ، أو تكون دول تابعة. واحنا صممنا وآلينا على أنفسنا، مش القادة بس ولكن الشعب هو اللى فرض هذه السياسة وصمم على أن يحميها؛ سياسة الاستقلال الكامل، سياسة محاربة مناطق النفوذ.. سياسة عدم الانحياز لا للشرق ولا للغرب، سياسة أن لا نأخذ أوامر من الخارج..سياسة عدم الخضوع لأى دولة أجنبية. طبعاً مهما كافحنا فى سبيل هذه السياسة، فإن التضحية بتكون بسيطة جدًّا بجانب تضحية الشعب كله، حينما يشعر بالذلة بعد ما يكون تابع؛ كلنا بنشوف الدول التابعة كيف تسير، وكيف لا تستطيع بأى حال من الأحوال أن تكون لها إرادة أو لها مشيئة.

أنتم الحماة باعتباركم رجال القوات المسلحة، وباعتباركم اليوم بتتحملوا مسئولية كبرى فى سبيل رسالة سامية، مصيرها بيقرر مصير كل فرد فى الأمة العربية، وبيقرر مصير الأمة العربية جمعاء؛ اللّى هى رسالة القومية العربية. ولهذا فإن الأمة والشعب بيشعر بالطمأنينة وهو بيحارب؛ لإنه بيحس إن فيه الجيش الوطنى القوى اللى بيعتمد عليه، واللى حيضحى فى سبيل هذه الرسالة، بنجد إن الشعب بيسير فى هذا الطريق وهو مطمئن كل الاطمئنان.

واحنا اللى وضعنا هذه السياسة، وبما أننا قد صممنا على أن تكون سياستنا سياسة مستقلة؛ فلابد على كل منا أن يعمل بكل ما فى طاقته، وأن يضحى بكل شىء فى سبيل هذه الرسالة.. من أول رئيس الجمهورية لآخر عسكرى فى البلد.. أحدث عسكرى، كلنا بنعمل على حماية هذه الرسالة، وعلى وضع هذه المبادئ والأهداف موضع التنفيذ، الشعب كله جيش؛ فى سبيل وضع هذه الرسالة موضع التنفيذ، والله يوفقنا جميعاً.

والسلام عليكم.

١٩٥٨/ ٤/ ٢٩

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى وفد اتحاد العمال العرب بالقصر الجمهورى بالقبة

■ يمر العالم العربى فى هذه المرحلة من تاريخه بأحداث كبرى؛ وذلك لأسباب متعددة، ولكن يجب علينا أن نذكر أن هذه المرحلة، إنما هى مرحلة انتقالية من المجتمع الذى كان يسيطر عليه الاستغلال؛ حتى نخلق المجتمع الذى ترفرف عليه الرفاهية. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نغير المجتمع فى مرحلة قصيرة أو بعمل قليل، ولكنا نستطيع أن نغير هذا المجتمع بالعمل المستمر والإنتاج الوافر، وفى نفس الوقت على مراحل، وهذا يحتاج إلى وقت ليس بالقصير. ونحن أبناء الأمة العربية، نتيجة للاستعمار والسيطرة الأجنبية، ونتيجة لاستغلال أعوان الاستعمار لثرواتنا وخدماتهم للاحتكارات الأجنبية، لم نستطع أن نسير مع العالم المتحضر فى التطور العلمى أو فى التطور الصناعى؛ مما أثر على مستوانا الاقتصادى، ومما أثر على مستوى المعيشة فى بلادنا.

واليوم بعد أن استطعنا أن نحصل على حريتنا واستقلالنا، وفى نفس الوقت بعد أن أصبحت مشيئتنا وإرادتنا ملك لنا.. بدأنا نعوض ما فات، ولكنا فى هذا بدأنا متأخرين عن أوروبا مثلاً أكثر من قرن ونصف من الزمان، فعلينا حتى نحقق المجتمع الذى ترفرف عليه الرفاهية أن نضع هذا فى حسابنا، وعلينا أيضًا أن نشعر ونؤمن أننا أو أنكم أنتم العمال، الجنود الذين وقع عليهم واجب هذا البناء.. بناء المجتمع الذى ترفرف عليه الرفاهية.

وإن الشعب العربى يشعر بهذه الرسالة، ويشعر بهذا العمل الذى يقوم به العمال، فلا يمكن لأى بلد أن يتطور من مرحلة الإقطاع والاستغلال والسيطرة الأجنبية والتأخر إلى مرحلة خلق مجتمع ترفرف عليه الرفاهية إلا بالجهد الكبير، وإلا بالعمل الدائب المستمر، وهذه هى رسالتكم، وهذا هو ما تقومون به من أجل الأمة العربية جمعاء.

ولكنا فى هذا السبيل قد نقابل بعض التناقضات بيننا، وقد يحاول أعدائنا من الذين استعمرونا أو استغلونا أو الذين يريدون أن يسيطروا علينا، محاولة استغلال هذه التناقضات التى قد تظهر طفيفة، والتى قد يكون حلها الأمر السهل؛ وذلك لإثارة الفرقة وإثارة الأحقاد والضغينة حتى لا تجتمع كلمة العمال، وحتى لا يكونوا قوة تسند الأمة العربية فى كفاحها؛ من أجل حريتها السياسية وحريتها الاجتماعية وحريتها الاقتصادية، وبهذا يتمكن أعداؤنا من استغلالنا، وبهذا يتأخر تحقيق أملنا فى بناء مجتمع ترفرف عليه الرفاهية. ولهذا، فإننا ونحن نعمل من أجل بناء هذا المجتمع يجب أن نتنبه إلى أن لنا من الأعداء الكثير؛ هؤلاء الذين لا يريدون لنا أن نطور بلدنا من النواحى الزراعية والصناعية والعلمية، حتى نبقى دائمًا تحت سيطرة التأخر، الأمر الذى يحقق المصالح الكثيرة للمحتكرين وللمستغلين.

ونحن فى كفاحنا من أجل تدعيم استقلالنا – فى نفس الوقت الذى نكافح فيه من أجل بناء هذا المجتمع – نقابل عقبات وصعاب لا حد لها؛ نقابل الأعداء الذين حاولوا ويحاولون أن يضعونا داخل مناطق النفوذ، وهؤلاء قد يحاولوا بكل وسيلة من الوسائل أن يستغلوا التناقضات التى تظهر بين المجتمع فى هذه الفترة من فترات الانتقال حتى يخضعونا جميعاً لنفوذهم وسيطرتهم، ولكن يجب أن نتسلح بالوعى، ونفهم أن علينا الواجب الكبير وعلينا واجب رئيسى فى سبيل البناء الاجتماعى، وفى نفس الوقت فى سبيل الحماية السياسية؛ وقد عبر مؤتمركم تعبيرًا واقعيًا واضحًا عن هذا الكلام الذى أقوله؛ من أجل البناء الاجتماعى، ومن أجل حماية المكاسب السياسية التى حصلنا عليها.

ونحن اليوم نمر فى تاريخنا كأمة عربية فى مرحلة حاسمة، قد يكون لهـا أثر كبير على مستقبلنا. وهذه المرحلة تختلف عن المراحل السابقة، فنحن منـذ نشأنا على وجه هذه الأرض، ونحن نكافح الاستعمار ونكافح السيطرة الأجنبية؛ لأننا خلقنا وكان الاستعمار يحتل بلادنا أو يحتل أى بلد عربى آخر. وفى كفاحنا للاستعمار كنا نتبع الأساليب، التى تمكننا من التخلص من الاستعمار وأعوانـه، ولكن الاستعمار دائمًا كان يحوِّر هذه الأساليب، ولكنه لم يستطع أو لم يحـاول بأى وسيلة من الوسائل منذ قامت دعوة القومية العربية أن يطعن هذه الدعوة أو يعمل على هدمها.

واليوم نرى المحاولات الكثيرة؛ سواء من الاستعمار الذى هزم أمام إجماع الشعب العربى الذى رفع راية القومية العربية، أو من الشيوعيين العملاء الـذين وجدوا فى القومية العربية عقيدة اجتماعية وسياسية تقدمية.. ولهذا فإننا نرى اليوم التحالف المقدس بين من يريدون أن يخضعوا العرب، ويضعوهم ضمن منـاطق النفوذ فى سبيل تحطيم هذه الدعوة أو القضاء عليها؛ حتى ينفسح المجال لأعوان الاستعمار للعمل لإخضاعنا للاستعمار الغربى، أو للشيوعيين العمـلاء للعمـل لإخضاعنا للشيوعية.

إن القومية العربية هى رسالة قديمة، تعبر عن دعوة اسـتقلالية اجتماعيـة تقدمية، وهى فى نفس الوقت تعبير عن تضامن الأمة العربية فى جميع الـبلاد العربية، ولا تعبر بأى حال من الأحوال عن العنصرية كما يحاول أعداء العرب أو كما تحاول الصهيونية – التى هى فى أساسها عنـصرية – أن تظهرهـا أو تشكلها.. إن القومية العربية هى تعبير عن التضامن بين العرب فى كل مكـان، وعن التساند.

اليوم نرى الاستعمار ينتهز الأحداث وينتهز الفرص، ثم يعيد الأساليب التى اتبعها فى الماضى للدسِّ والخداع بين الدول العربية، ثم يـستخدم الأعـوان أو أعوان الأعوان. كان فى الماضى يستخدم نـورى الـسعيد كـزعيم لأعـوان الاستعمار، وكان لنورى السعيد أعوان. اليوم بعد أن مات نورى السعيد وبعد أن

تخلص منه شعب العراق، يستخدم الاستعمار أعوان أعوان نورى السعيد.. هؤلاء الذين عملوا مع نورى السعيد ضد العراق وضد الأمة العربية.. هؤلاء الذين عملوا مع نورى السعيد للقضاء على استقلال الأمة العربية، اليوم يحاولون أن يبينوا للعرب أنهم يمثلون الوطنية ويمثلون الاستقلال ويمثلون الحرية، ولا يمكن للعميل الذى تلوث مرة، ولا يمكن لأى من أعوان نورى السعيد الذين قبلوا فى الماضى أن يكونوا السوط فى يد نورى السعيد ضد الشعب، لا يمكن لهم بأى حال أن يعودوا شرفاء؛ لأنهم باعوا ذمتهم وباعوا ضميرهم منذ سنين طويلة، فاليوم يجد فيهم الاستعمار البريطانى الوسيلة التى يستخدمها ضد الأمة العربية. وكما قلت فى الماضى: لقد قامت ثورة على الثورة فى العراق، وقد قام بهذه الثورة أعوان الاستعمار؛ أعوان نورى السعيد. وإذا بحثنا اليوم عن من يتشدقون بالوطنية.. فإننا نجد فى تاريخهم كيف كانوا هم العون لنورى السعيد ضد الشعب العربى.

وفى نفس الـ[illegible] يحاول الشيوعيون العملاء فى الأمة العربية أن يخضعونا.. يخضعونا حتى ندخل ضمن مناطق النفوذ. وليس الأمر مسألة عقيدة أو مسألة مبدأ ولكنه مسألة مناطق نفوذ وإخضاع، فهناك يوجوسلافيا، وهى دولة شيوعية.. شيوعية كاملة، ولكنها حينما أبت أن تدخل ضمن مناطق النفوذ وتخضع لسيطرة الدول الكبرى أو تخضع لسيطرة الاتحاد السوفيتى، قامت الحملات تلو الحملات.

ليست المسألة مسألة عقيدة ولكنها مسألة سيطرة؛ إن اليوم الأحزاب الشيوعية التى تعمل كطابور خامس فى بلدنا، إنما هى عبارة عن قواعد ضدنا؛ حتى تدفعنا – بعد أن تخدرنا ورغمًا عن إرادتنا أو بعد أن تستطيع أن تغرر بنا – ضمن مناطق النفوذ. وهذا ما أبيناه منذ صممنا على هذه السياسة أو منذ قامت الثورة هنا فى مصر، ومنذ تبنى الأحرار فى كل بلد عربى الدفاع من أجل استقلال بلدهم والتخلص من السيطرة

دعوتنا.. دعوة القومية العربية مبنية على الاستقلال الكامل، وعلى سياسة عدم الانحياز والحياد؛ ونعنى بهذا أن لا ندخل ضمن مناطق النفوذ الشرقية أو ضمن مناطق النفوذ الغربية. ولهذا فإننا نكافح اليوم.. نكافح ضد من يحاولون إدخالنا ضمن هذه المناطق؛ سواء من الاستعمار الغربى أو من المعسكر الشرقى.

ولكنا ونحن نسير فى هذا الطريق الذى آمنا به، نعتمد على الله وعلى الشعب العربى كما كنا نعتمد دائمًا؛ لنعمل ولندعم القومية العربية، التى انتصرت فى الماضى، وستنتصر - بإذن الله - فى المستقبل، ولندعم الأعمال التى قمنا بها، ثم لنوفر الفرص لتحقيق المجتمع الذى ترفرف عليه الرفاهية، والذى تتقارب فيه الفوارق بين الطبقات، بدون أن نمكن أى دولة أجنبية من أن تضعنا داخل مناطق النفوذ.

والعمل شرف كبير لنا جميعًا، ثم هو أيضاً له أثر فى تحقيق الأهداف التى نسعى إليها؛ فلا يمكن أن نحقق مجتمعاً ترفرف عليه الرفاهية إذا لم نعمل، والعمل - كما قلت - شرف يجب أن يشعر به جميع أبناء هذا الوطن، وهذا هو سبيلنا لتحقيق مجتمع ترفرف عليه الرفاهية. وأرجو لكم التوفيق.

وأشكركم.